



كلية الدراسات الإسلامية والعربية  
للبنات بالإسكندرية

# علاقة الدعاء بالقضاء

إعداد الدكتورة

هويدا فؤاد الطويل

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة  
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله مجيب الدعاء ، كاشف الضر والبلاء ، لا يرد سائلاً ولا يخيب راجياً ، فهو أهل الفضل والثناء ، أحده على نعمه العظيمة التي لا تحصى وأشكره في السر والنجوى ، والصلاة والسلام على من بعث بالدين الأسمى والرسالة العظمى ، وعلى آله وصحبه أولى البصائر والنهي ومن هديهم أهتدى وبآثارهم اقتفى وسلم تسليماً كثيراً.

### أما بعد...

فالقضاء والقدر من الأمور التي خاض فيها كثيرون ، وزل فيهما بعض أولى العلم ، وألفت فيهما الكتب. وتجادل فيهما أتباع الدين الواحد ، لأنهما يتعلقان بأمر غيبي ، لا نعرف منهما إلا ما ظهر إلى الواقع ، ويبقى أمرهما في عداد الغيبات التي لا سبيل للعلم بها إلا من طريق النص المعصوم والقول المأثور المقرون بالبرهان ، وقد ترتب على هذا أن فهم بعض الناس خطأ أن يلزم العبد السكون والجمود ، وأن يستسلم للقضاء والقدر ، وأن يفوض الأمر إليه ، بل يتواكل عليه سبحانه ، فلا يباشر عملاً ولا يزاول مهنة ، بل ينتظر السماء لتمطره بالذهب والفضة ، ويتقاعس في الأخذ بالأسباب ، ويهمل أمر الدعاء الذي لا يخرج عن كونه عملاً لسانياً أو قلبياً - كما يدعى البعض - حيث يتساءل هؤلاء الناس : لماذا الدعاء ومزاولة الأعمال والحال أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن !!

والله - سبحانه وتعالى - أمر عباده بالإيمان بالقضاء والقدر ، وأمرهم - أيضاً - بالتوكل والأخذ بالأسباب ، وأمرهم كذلك بالدعاء والتضرع إليه تعالى والاستنجاد به... فهل هذه الأوامر متباينة متنافرة أم متعاونة متآلفة.

ولما كانت الكتابة في مثل هذا الموضوع خطيرة ودقيقة وتحتاج إلى عناية ، ولكونها كتابة مهمة في موضوع عقائدي يشكل ركناً من أركان الإيمان ألا وهو القضاء ، والآخر في شأن الدعاء بما يمثل من قيمته العقدية والعلمية وآثاره العملية ، ويحتاجه ذو المهمة العالية فضلاً عن غيره .

ولما اتسم هذا النوع من العلم المفيد الذي لا ينفع فيه التقليد دون البحث والتعميق ؛ لأنه يبدو في ظاهره بسيط ويسير إلا أنه من الصعوبة بمكان الإفتاء به بقطعيات دون مدارسة ؛ لأنه يقع ضمن دائرة حرية الإنسان واختياراته وقضائه ومعرفته في علاقتها بعلم الله - سبحانه - ومشيئته ومعرفته وقدره .

لذا وجدت نفسي راغبة في التشمير والكتابة في هذا الموضوع ، وقد رأيت فيه مسائل عديدة تحتاج إلى توضيح وتقريب كي تستوعب ويفهم ما فيها من معاني عظيمة ، ومفاهيم كريمة تربط العبد بربه وتقربه إليه . وللوصول إلى ما سبق لابد من خطوات اسلكها لأصل بعدها إلى النتيجة التي تكشف حقيقة العلاقة بين الدعاء والقضاء .

١- ومن هذه الخطوات أن أسوق مجموعة من الحقائق والمعاني والبدييات الإيمانية التي جاءت بها النصوص قاطعة .

٢- وأضم لها الكشف عن أبعاد قضية القضاء والقدر بآفاقها الرائعة ، وعن صلة الدعاء بهما .

٣- ثم أعرج على النصوص التي كثرت في بيان العلاقة بين الدعاء من حيث إنه مما شرع ، ومسألة الإيمان بـ "القضاء والقدر" من حيث كونه من أركان الإيمان . وفي رحاب هذه النصوص نجد ما يجلى تجلية باهرة رائعة أبعاد هذه العلاقة ؛ لذا رأيت أن تكون معالجة مسائل هذا البحث على النحو التالي :-

أولاً: - مقدمة: - تتضمن كلمة الاستهلال ، وأهمية الموضوع ، وخطة البحث فضلاً عن المنهج العلمي في طريقة اعداده

المبحث الأول: - التعريف بمصطلحات البحث وأدلة ثبوتها  
(ويتضمن مطلبين)

المطلب الأول: - تعريف الدعاء وأدلة ثبوته

المطلب الثاني: - تعريف القضاء وأدلة ثبوته

المبحث الثاني: - بعض الحقائق والمعطيات الإيمانية

المطلب الأول: - كون القضاء عقيدة مرتبطة بالإرادة والعلم والقدرة

المطلب الثاني: - نظرية الأسباب وارتباطها بالمسببات

المطلب الثالث: - أفعال العباد ومشكلة التخيير والتسيير

المبحث الثالث: - العلاقة بين الدعاء والقضاء

(ويتضمن مطلبين)

المطلب الأول: - عقيدة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء

المطلب الثاني: - المخالفون لأهل السنة والرد عليهم

أخيراً: - القول الفصل في علاقة الدعاء بالقضاء

الخاتمة وفيها: - أولاً: أهم نتائج وتوصيات البحث

ثانياً: فهرس المصادر والمراجع والموضوعات

## المنهج العلمي في البحث :-

الدراسة تعكس بأسلوب بسيط ومختصر ما يتعلق بموقف الدعاء من القضاء ،  
وذلك عن طريق ما يلي :-

أ - استخدام المنهج الوصفي والذي يعنى بجمع البيانات للاستفادة منها <sup>(١)</sup> وقد استخدمت هذا المنهج عن طريق تضمين كافة البيانات التي توافرت تحت يدي في ثنايا الدراسة ، محاولة لتكوين رؤية أقرب إلى الصواب - بقدر المستطاع - عن موضوع البحث.

ب - كما استخدمت المنهج التحليلي حيث قمت بتحليل كافة الكتابات المتصلة بموضوع البحث لاستخراج أهم الأفكار الواردة فيها وتوظيفها لخدمة الدراسة <sup>(٢)</sup>.

ج - كما استعنت في احدى مطالب البحث بالمنهج النقدي <sup>(٣)</sup> لتسليط الضوء على ما احتوته بعض الأفكار الواردة في الدراسة من جوانب سلبية من الصعوبة بمكان غض البصر عنها.

## المنهج الفني في كتابة البحث :-

أ - عزوت الآيات القرآنية إلى مكانها من السور بذكر (اسم السورة ورقم الآية)

ب - خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية في كتب السنة

(١) انظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام د/على سامي النشار ص ٢٧٠-٢٧١، وأبجديات البحث في

العلوم الشرعية "محاولة التأصيل المنهجي لفريد الأنصاري ص ٧١

(٢) انظر: مناهج البحث ص ٢٧٠-٢٧١، وأبجديات البحث ص ١١٩، وبحوث في مقارنة الأديان محمد

عبدالله الشرقاوي ص ٤٣

(٣) مناهج البحث ص ٢٧١، وبحوث في مقارنة الأديان ص ٤٦

- ج - اتبعت القواعد البحثية في النقل عن الآخرين سواء أكان نصاً أم تصرفاً
- د - قمت بوضع العناوين الجانبية والترقيم لبعض الموضوعات للفت الانتباه إليها وتيسير عرضها على القارئ.
- هـ - اعتمدت على المراجع الأصلية كلما توفر لي ذلك لما لها من تأصيل لموضوع الدراسة
- و - لم أغفل الدراسات الحديثة في ذات الموضوع باعتبارها نتاج مرحلة متطورة من البحث للعقل الإنساني.
- ز - الاختصار على اسم الكتاب والمؤلف عند أول ورود له بالبحث إذا لم يكن هناك تشابه بينه وبين كتاب آخر، فإذا وجد هذا التشابه أو احتمال اللبس أعيد ذكر المؤلف ، أما تاريخ الطبعات ورقمها وما جرى مجرى ذلك فيرجى إلى فهرس المصادر والمراجع
- وقد حاولت جاهدة أن أصل إلى الصواب - بقدر المستطاع - من خلال هذا البحث ، فإن وفقت فإني لله حامدة على هذا الغنم ، وإن كانت الأخرى فإني استغفر الله وأتوب إليه ، وأسأله تعالى داعية إياه - سبحانه - أن يرشدني إلى ما فيه الخير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د/هويدا فؤاد محمد الطويل

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

## المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث وأدلة ثبوتها

### المطلب الأول: تعريف الدعاء وأدلة ثبوته

#### أولاً - الدعاء في اللغة:

مصدر من دعا يدعو دعاء ودعوة ، أقاموا المصدر مقام الاسم تقول: سمعت دعاءً ، كما تقول سمعت صوتاً ، وقد يوضع المصدر موضع الاسم كقولهم: رجل عدل<sup>(١)</sup> وقيل هو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك تقول: دعوت فلانا أدعوه دعاءً ، أي ناديتُهُ وطلبت إقباله وأصله دعاؤ ، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت<sup>(٢)</sup> .

وللدعاء في القرآن الكريم وجوه عدة كلها تدور حول المعنى اللغوي المتقدم

نذكر منها: -

١- النداء يقال: دعوت فلانا ، أي ناديتَه وصحت به ، قال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> أي نادى وقد يستعمل

كل واحد من النداء والدعاء موضع الآخر، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) أفاده الخطابي - رحمه الله - شأن الدعاء ص ٣

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة دعو (٢: ٢٧٩) ، ولسان العرب لابن منظور باب الواو وفصل الدال.

(٣) آل عمران: ٦١ ، راجع أيضاً الإسراء: ٥٢

(٤) البقرة: ١٧١ ، راجع أيضاً الأعراف: ١٩٤



- ٢- الطلب يقال: دعاه ، أي طلبه ، قال تعالى: ﴿وَلِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا ....﴾ <sup>(١)</sup> أي تطلب أن يحمل عنها.
- ٣- القول قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا﴾ <sup>(٢)</sup> أي قولهم إذ جاءهم العذاب.
- ٤- العبادة قال تعالى: ﴿لَنْ تَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَّا نَهَا...﴾ <sup>(٣)</sup> أي نعبد.
- ٥- الاستعانة قال تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ <sup>(٤)</sup> أي استعينوا.
- ٦- الحث على الشيء قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ <sup>(٥)</sup> أي حثهم على عبادة الله.
- ٧- النسبة قال تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ...﴾ <sup>(٦)</sup> أي انسبهم.
- ٨- السؤال قال تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُنَا لِتَارِكِكَ...﴾ <sup>(٧)</sup> أي سله.
- ٩- الشاء قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ ..﴾ <sup>(٨)</sup>

(١) فاطر: ١٨، راجع أيضاً البقرة: ٢٣

(٢) الأعراف: ٥

(٣) الكهف: ١٤، راجع أيضاً الأعراف: ١٩٤، يونس: ١٠٦

(٤) البقرة: ٢٣

(٥) نوح: ٥

(٦) الأحزاب: ٥

(٧) البقرة: ٦٩، وراجع أيضاً غافر: ٦٠

(٨) الأسراء: ١١٠

وغيرها من المعاني<sup>(١)</sup> فتلك المعاني تشترك في الدعاء لغة ، ولكن إذا أطلق لفظ الدعاء فيراد به الثناء على الله - سبحانه - أو الطلب منه ، لاشتهاره بهذا المعنى ، وهو الحقيقة الشرعية ، أما إذا اقترن به ما يدل على غير ذلك فيحمل معناه عليه ، كأن تقول: ألا تدعو فلانا بكنيته ، فالمراد النداء أو التسمية وهكذا.

## ثانياً - الدعاء في الاصطلاح :-

طلب الأدنى من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة<sup>(٢)</sup> ودعا العبد ربه - ﷻ - طلب العناية منه ، واستمداده إياه المعونة<sup>(٣)</sup> ويقال: دعوت الله ادعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير<sup>(٤)</sup> قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

فحقيقة الدعاء - إذن - استشعار الافتقار إلى الغنى ، والحاجة إلى المغنى ، والذل بين يدى العزيز، والضعف بين يدى القوى جل في علاه ، مما يعطى العبد القوة الحقيقية ؛ لأنه موصول بالقوى المتين سبحانه وتعالى<sup>(٦)</sup>.

(١) يراجع في معنى الدعاء، الصحاح الجوهري دعا: ٦: ٢٣٣٧ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس دعو (٢):

٢٧٩ (٢٧٩) والقاموس المحيط للفيروز آبادي دعا: ٤: ٣٢٩، وفتح الباري ١١/٩٤ والمفردات في غريب القرآن

للالأصفيهاى ص١٧٦—١٧٧

(٢) عدة الداعي للشيخ أحمد بن فهد الحلبي ص ٩

(٣) تفسير الرازي ٥: ٩٧

(٤) المصباح المنير للفيومي ١: ١٩٤

(٥) غافر: ٦٠

(٦) اتخاف السادة المتقين للزبيدي ص ٢٨

وقال الخطابي<sup>(١)</sup>: "إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو سمة العبودية ، واستشعار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله ، وإضافة الجود والكرم إليه ، ولذلك قال رسول الله (ﷺ): "الدعاء هو العبادة"<sup>(٢)</sup> وهذه العبادة هي أحد الأمور التي يصدق عليها مفهوم الدعاء اللغوي الواسع - كما تقدم - كما أن الصلة الاصطلاحية بين العبادة والدعاء - أيضا - قائمة ؛ لأنهما يشتركان في حقيقة واحدة، هي إظهار الخشوع والافتقار إلى الله - تعالى - وهو غاية الخلق وعلته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُذُ الْكَافِرُ إِلَّا ذُخْرُكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> فالدعاء والعبادة يعكسان الفقر المتأصل في كيان الإنسان إلى خالقه تعالى مع إحساسه العميق بالحاجة إليه - سبحانه - والرغبة فيما عنده.

### ثالثاً: أدلة ثبوت الدعاء

### أ- أدلة قرآنية :-

١- الآيات الدالة على الدعاء كثيرة ومتنوعة في عرضها منها: -

الأمر بالدعاء صراحة: - يشير إلى ذلك قول الله سبحانه:

١) الإمام أبو سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، ولد بمدينة بست كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبو علي الصفار وأبو جعفر الرزاز وغيرهما، ولد (٣١٩) وتوفي (٣٨٨هـ) (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣/١٧).

(٢) جامع الترمذي " كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ " بَابُ مَا جَاءَ فِي الَّذِي يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ رقم الحديث: ٢٩١٤

( ٣ ) الذاريات : ٥٦

٤ ( الفرقان : ٧٧

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ <sup>(١)</sup> وإن اختلف العلماء في المقصود من "الدعاء" في هذه الآية الكريمة، إذ اشار البعض إلى أنه بمعنى "العبادة" مستدلين بحديث رسول الله (ﷺ) "الدعاء هو العبادة" وقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup>. وقد أكد هذا المعنى بعض المفسرين منهم مارواه ابن جرير الطبري <sup>(٣)</sup> في تفسيره عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن عبادتي دعائي" ثم تلا هذه الآية الكريمة <sup>(٤)</sup>.

وذهبت طائفة أخرى إلى أن الدعاء في الآية المذكورة أريد به حقيقته وهي الاستعانة بالله والتضرع إليه فهو كالحديث الشريف: "الحج عرفة" <sup>(٥)</sup> أي أن الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم في الحج، ومن فاته الوقوف بعرفة فلا حج له، كذلك الدعاء هو أعظم العبادات وأفضلها وتفوت كل عبادة بفواته وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾ <sup>(٦)</sup>.

(١) غافر: ٦٠

(٢) سبق تخريجه

(٣) محمد بن جرير الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (٢٤٤-٣١٠هـ) مؤرخ ومفسر وفقه، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين وتوفي عشيه الأحد ودفن في داره. (سير أعلام النبلاء للذهبي الطبقة ١٧ الجزء الرابع عشر)

(٤) المجلد الثاني ص ١٦٧ طبعة دار الكتب العلمية، انظر أيضاً مفاتيح الغيب للرازي المجلد الثالث عشر

ج ٢٣ ص ٥٧٣ — ٥٧٤

(٥) الترمذي في الحج، باب: ما حاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج رقم الحديث (٨٨٩)

(٦) الأعراف: ١٨٠

الأمر بالدعاء ضمناً: - ورد الأمر بالدعاء ضمناً في أربع سور من القرآن الكريم كما

في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿فِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِمَةٌ لِّذِي يُبِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

الأمر بالدعاء استنطاقاً للفطرة: - مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ

آتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ...﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) النور: ٣١

(٢) الذاريات: ٥٠

(٣) التحريم: ٨

(٤) البقرة: ١٨٦

(٥) الانعام: ٤٠

(٦) الفرقان: ٧٧

(٧) المل: ٦٢

الأمر بالدعاء في سياق ما يجب توافره من شروط: - كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمُْوا  
وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ...﴾ (١)

وكقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣)

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا...﴾ (٤)

وقوله تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا...﴾ (٥)

٢- الرسل - صلوات الله عليهم - ونماذج من أدعيتهم في القرآن: -

آدم عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١)

نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (٢)

(١) الأعراف: ٢٩

(٢) الأعراف: ٥٥

(٣) الأعراف: ٥٦

(٤) الأنبياء: ٩٠

(٥) السجدة: ١٦

(٦) الأعراف: ٢٣

(٧) نوح: ٢٨

إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ نِّعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٥﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا تُخْفِي وَمَا تُلْقِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ٤١﴾ (١).

ويوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٣٣﴾ كما قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ١٠١﴾ (٢).

(١) إبراهيم: ٣٥: ٤١

(٢) يوسف: ٣٣

(٣) يوسف: ١٠١

وموسى عليه السلام حينما قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ <sup>(١)</sup>

وذا النون عليه السلام في قوله: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

وزكريا عليه السلام في قوله: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

ودعوة أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup>

وعيسى عليه السلام حين قال: ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup>

(١) يونس: ٨٨

(٢) الأنبياء: ٨٧: ٨٨

(٣) الأنبياء: ٨٩

(٤) الأنبياء: ٨٣

(٥) المائدة: ١١٤



ومحمد (ﷺ) حين دعا ربه في بدر واستنصره متضرعاً إليه حتى سقط رداؤه<sup>(١)</sup> فأنجز له الله - تعالى - ما وعده ، وأمده بألف من الملائكة مردفين، ولاحت بشائر الانتصار قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

### ٣ - الصالحون ونماذج من أدعيتهم في القرآن :-

أصحاب طالوت حينما اشتد الفزع بهم لكثرة العدد والعدة في صف جالوت وجنوده دعوا الله متضرعين قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَرُوا لِجَالُوتَ وَجُسُودِهِمْ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فلهزموهم يَلْذِبِ اللَّهُ...<sup>(٤)</sup>

وقول سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿وَمَا نَنْفِقُ مِنَّا إِلَّا أَتَاءَ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَارُ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة . ثم مد يديه فجعل يهتف بربه ( اللهم ! أنجز لي ما وعدتني . اللهم ! آت ما وعدتني . اللهم ! إن هلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ) فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه . فأتاه أبو بكر . فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه. ثم التزمه من ورائه . وقال : يا نبي الله ! كفك مُناشدتك ربك . فإنه سينجز لك ما وعدك) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر رقم الحديث: ٣٣١٥

(٢) الأنفال: ٩

(٣) البقرة: ٢٥٠-٢٥١

(٤) الأعراف: ١٢٦

ب - الأدلة من السنة :-

١ - الأدلة القدسية :-

- حيث ورد ماقاله مسلم في صحيحه: "حدثنا محمد بن المنفي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مسره قال سمعت أبا عبيده يحدث عن أبي موسى الأشعري<sup>(١)</sup> عن النبي (ﷺ) قال أن الله - ﷻ - ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"<sup>(٢)</sup>

كما قال مسلم في صحيحه: "حدثني عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمه عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) فيما يحكى عن ربه - ﷻ - قال: "أذن عبدي ذنباً فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذن عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذن فقال: أي رب أغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي أذن فعلم أن له رباً يغفر ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذن فقال: أي رب أغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذن عبدي فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك"<sup>(٣)</sup>

(١) هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن الأشعر، لقب بالأشعر لأنه ولد على بدنه شعر، وهو إمام كبير، صاحب رسول الله (ﷺ) التميمي الفقيه المقرئ، قرأ على النبي (ﷺ)، وأقرأ أهل البصرة وفقهم في دينهم استعمله النبي (ﷺ) على اليمن وولى أمرة الكوفة لعمر رضى الله عنه، توفي بالكوفة وقيل بمكة سنة ٥٠هـ وقيل غير ذلك. (سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٨١)

(٢) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٤/ ٢١١٣) رقم الحديث ٢٧٥٩

(٣) صحيح مسلم "كِتَابُ التَّوْبَةِ" بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتْ رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٤٩٥٨ (حديث قدسي)

## ٢ - الأدلة النبوية :-

والأحاديث الحمديدية الشريفة في هذا المقام كثيرة جداً ، وجميعها مدللة على ثبوت الدعاء وقبوله إذا توافرت فيه مقوماته وسوف اكتب هنا بنماذج معدودة منها: -

- قول الرسول (ﷺ): "ادْعُ إِلَى رَبِّكَ الَّذِي إِنْ مَسَّكَ ضُرٌّ فِدَعْوَتُهُ كَشَفَ عَنْكَ ، وَالَّذِي إِنْ أَضَلَّتْ بِأَرْضٍ قَفِرَ فِدَعْوَتُهُ رَدَّ عَلَيْكَ، وَالَّذِي إِنْ أَصَابَتْكَ سَنَةٌ فِدَعْوَتُهُ أَلَبَّتْ لَكَ" (١)

- وعن النبي (ﷺ) قال: "أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام" (٢) .

- وحديث أنس عن الرسول (ﷺ): "إن الله حيي كريم يستحي أن يسط العبد يديه إليه فيردهما صفراً" (٣)

- وعن أبي هريرة - ؓ - قال رسول الله (ﷺ): "إن الله تعالى عتقاء في كل يوم وليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة" (٤) .

- وعنه - أيضاً - : " ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء" (٥) .

(١) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ص ٤٦ الحديث رقم ٢٤٤ وحكم المحدث صحيح، سنن أبي داود (٤٠٨٤)

(٢) كتاب " الدعاء للطيراني " - باب : مَا جَاءَ فِي الْعَجْزِ فِي الدُّعَاءِ - رقم الحديث: ٥٤

(٣) جامع الترمذي رقم الحديث: ٣٥٠٨ (حديث قدسي)

(٤) مسند أحمد بن حنبل "مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْحَنَّةِ، بَاقِي مُسْنَدِ الْمُكْثَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ" رقم الحديث (٧٢٦٨)

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٤٩ حديث رقم ٧١٢ عن طريق عمران القطان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هريرة ودرجة الحديث صحيح وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٥٢)

- وقال النبي (ﷺ): " لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافق من الله ساعة ينزل فيها عطاء فيستجاب لكم" (١)

- كما قال (ﷺ): "ما على الأرض مسلم يدعوا الله بدعوة إلا أتاه الله تعالى إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع يأثم أو قطع رحم فقال رجل من القوم: "إذا نكثرت قال: "الله أكثر" (٢)

- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) إن الله - عز وجل - يقول: "أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني" (٣)

ج - من أهم الآثار الدالة على الدعاء وإجابته :-

ما قاله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأصحابه لستم تصرون بكثرة وإنما تصرون من السماء ، فإذا اهتمم الدعاء فإن الإجابة معه قال تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ (٥) وعنه أيضاً قال: "إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإذا أهتمت الدعاء علمت أن الإجابة معه" (٦)

١ ( صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ص ٢٣٠٥ رقم الحديث (٣٠١٤).

٢ ( سنن الترمذي " كتاب الدعوات " باب في انتظار الفرج وغير ذلك رقم الحديث (٣٥٧٣)

٣ ( صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب رقم الحديث ٤٨٥٥ "قدسي"

(٤) غافر: ٦٠

(٥) البقرة: ١٨٦

(٦) أوردة الحفاظ في الفتح ١١ / ١٤١ وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ٢ / ٢٢٩

#### د - دلالة الفطرة: -

إن علاقة الإنسان بربه علاقة فطرية متأصلة في نفس الإنسان ، ولكل امرئ طريق من قلبه إلى خالقه ، وثمة باب في القلوب يفتح إلى من بيده مجريات الأحداث، وهو بكل شيء محيط، حتى أشقى الأشقياء نجده عند الابتلاء بالمصائب والحن، وعندما تنقطع به العلل والأسباب يفزع إلى خالقه، وهو أمر ذاتي يتساوى فيه الناس مهما كانت اتجاهاتهم وميولهم<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup> والآيات في هذا الأمر كثيرة<sup>(٣)</sup> وكلها تدل على أن التوجه إلى الله - تعالى - في حال الشدة والاضطرار أصيل في فطرة الإنسان وطبيعي في وجوده ، وهذا خير دليل على فطرية أمر الدعاء. وأكد ذلك صاحب الفتوحات المكية في تعليقه لقبول دعاء المضطر (لأنه دعا ربه عن ظهر فقر إليه وما منع الناس الإجابة من الله ، في دعائهم إياه، إلا كونهم يدعونه عن ظهر غنى: لالتفاتهم إلى الأسباب وهم لا يشعرون)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر المصري ص ٣٧٣

(٢) يونس: ١٢

(٣) سورة الروم: ٣٣، والإسراء: ٦٧

(٤) السفر السابع الجزء الخامس والأربعون ص ٣٧٦ — ٣٧٧ (وإن كان في هذا النص تلميح صريح بعدم

الاعتداد بالأسباب وسأرجئ الرد على هذا الأمر في حينه)

## المطلب الثاني : تعريف القضاء وأدلة ثبوته (١)

قبل بيان تعريف القضاء لغة واصطلاحاً أود أن أوضح أنه بعد الاطلاع والدراسة وجدت أنه لا يصح التعرض للقضاء منفرداً بعيداً عن القدر؛ للارتباط والتداخل فيما بينهما - كما سنرى - لذا كان لزاماً على أن أوضح تعريف كل منهما فيما يلي :-

## أولاً - تعريف القضاء والقدر لغة :-

أ- تعريف القضاء لغة :- مصدر الفعل "قضى" يقضى قضاء وهو إحكام الشيء وإتقانه ، وإلى هذا أشار ابن فارس<sup>(٢)</sup> حيث قال: "القاف والضاد والخرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته"<sup>(٣)</sup>

(١) مع الأخذ في الاعتبار بأنه هناك من يرى أنه لا ينبغي الحديث في مسائل القضاء والقدر مطلقاً بحجة أن ذلك يبعث على الشك والحيرة، وأن هذا الباب زلت به أقدام .ولكن الكلام هكذا - على إطلاقه- غير صحيح لأمر عديدة منها : ١- أن القرآن الكريم ملئ بذكر القضاء والقدر وتفصيلهما ونحن مأمورون بتدبر القرآن ٢٠- كما أن الصحابة- رضوان الله عليهم- سألوا النبي (ﷺ) عن أدق الأمور في القدر. ٣- كما أنهم علموا تلاميذهم من التابعين- ذلك وسألوهم ليختبروهم وينظروا في فهمهم لهذا الباب. ٤- كما أن أئمة السلف الصالح من العلماء كتبوا في هذا الباب راجع في ذلك مسلم (٢٦٤٨) ومسلم باب القدر (٢٦٥٠) وإن كنت أرى بأن النهى الوارد في حق القضاء والقدر إنما هو منصب على الخوض فيهما بالباطل وبلا علم أو الاعتماد في معرفتهما على العقل البشرى القاصر بعيداً عن هدى الكتاب والسنة، أو التنازع في أمرهما بلا دليل، أو البحث عن الجانب الخفي في القدر الذي هو سر الله في خلقه(انظر: الإبانة لابن بطة العكبري ٤٢١/١-٤٢٢) والدين الخالص لمحمد صديق حسن ج٣ ص١٦٣، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٦٢)

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الفزدي الشافعي المالكي، ولد سنة (٣٢٩هـ - لغوى، من مصنفاته :المجمل في اللغة مقاييس اللغة، جامع السأويل في تفسير القرآن توفي سنة ٣٩٥هـ (انظر: معجم المؤلفين - ٤٠/٢)

(٣) معجم مقاييس اللغة (٩٩/٥) وانظر أيضاً: لسان العرب (٣٦٦٥/٦)

قال تعالى: ﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ مَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾ <sup>(١)</sup> أي: أحكم خلقهن، كما يطلق على الإتمام كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ <sup>(٢)</sup> أي اتمناه.

ويأتي بمعنى الحكم ، والصنع ، والبيان. وأصله القطع والفصل وقضاء الشيء ، وإحكامه ، وإمضاؤه والفراغ منه <sup>(٣)</sup> وهذه الإطلاقات قد وردت في القرآن الكريم وغيرها كثير منها: -

بمعنى الحكم والقضاء بين المتخاصمين والمتنازعين وذلك مثل قوله: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ <sup>(٤)</sup>

بمعنى الأمر التشريعي التكليفي مثل قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا .... ﴾ <sup>(٥)</sup>

بمعنى الإخبار والإعلام مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْكَ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّضْمِحِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup>

(١) فصلت: ١٢

(٢) سبأ: ١٤

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٤١: ٤٤٢ والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٠٦—٤٠٧، والقاموس للفيروز أبادي ص ١٧٠٨، ولسان العرب لابن منظور ١٨٦/١

(٤) النساء: ٦٥

(٥) الأسراء: ٢٣

(٦) الحجر: ٦٦

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>

ويأتي بمعنى أنهى وأتم وأنجز ودليله قوله: ﴿وَلَكِنْ لِّيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾<sup>(٢)</sup>

ويأتي بمعنى الكتابة قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>

ويأتي بمعنى القتل قال تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُؤْمِنٌ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup>

ويأتي بمعنى الأمر الكوني النافذ، والقدر الحتمي الذي لا يرد ودليله قوله

تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٥)</sup> أي إذا قدر أمراً أو أَرَادَهُ فإنه لا بد أن ينفذ بمجرد قوله له (كن)

ويأتي - كذلك - بمعنى حدد كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾

<sup>(٦)</sup> أي قدر وحدد زمناً، فهو قضاء حتمي أما كلمة (القضاء) فلم ترد بنصها في القرآن الكريم وإنما وردت مشتقاتها التي بلغت (ثلاثاً وستين) مرة في (سبع وعشرين) سورة من سور الكتاب العزيز<sup>(٧)</sup> ويلاحظ في هذه المشتقات في سياق آياتها أنها كلها تدور حول معاني

(١) الإسراء: ٤

(٢) الأنفال: ٤٢

(٣) مريم: ٢١

(٤) القصص: ١٥

(٥) البقرة: ١١٧

(٦) الأنعام: ٢

(٧) "البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، الأنفال، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الإسراء، مريم، طه، الحج، النمل، القصص، الأحزاب



الخلق والإيجاد والإبرار، أي في صورة الحكم والتفويض فهو على هذا الاستنتاج يرجع إلى صفة القدرة الواجبة لله تعالى.

### ب / تعريف القدرة لغة :-

القدر في اللغة كما قال ابن فارس في مادة "قدر" أن القاف والبدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته<sup>(١)</sup> والقدر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدره الله - ﷻ - من القضاء ويحكم من الأمور. والتقدير: التروية، والتفكير في التسوية<sup>(٢)</sup>

ومن اطلاقات القدر في القرآن الكريم (٣) :-

التضييق قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلْكُهُ فَعَدَرَعَلَيْهِ رَزَقُهُ﴾<sup>(٤)</sup>

التعظيم قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوهُ...﴾<sup>(٥)</sup>

الاستطاعة قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥

(٢) انظر: لسان العرب ٧٢/٥، والقاموس المحيط ٥٩١. (والفرق بين القدر والتقدير، أن التقدير يستعمل في أفعال العباد ولا يستعمل القدر إلا في أفعال الله عز وجل) (التعريفات للخرجاني ص ١٧٤ حرف القاف، والفرق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٣٢٨)

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٦-٣٩٧

(٤) الفجر: ١٦

(٥) الأنعام ٩١

(٦) المائدة ٣٤

التدبير قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>

القضاء قال تعالى: ﴿مَنْ قَدَرْنَا يَتَنَكَّرُ الْمَوْتَ﴾<sup>(٢)</sup>

من خلال ما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة وبيان انطلاقهما في القرآن الكريم يتبين مدى العلاقة بينهما.

ثانياً: تعريف القضاء والقدر في الاصطلاح:-

يقول الجرجاني:- القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال<sup>(٣)</sup> وعرف القضاء بأنه عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد<sup>(٤)</sup>.

ومن التعريفات الاصطلاحية - أيضاً - هو ما سبق به العلم ، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد ، وأنه - ﷻ - قدر مقادير الخلاق وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل - وعلم سبحانه - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده - تعالى - وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها<sup>(٥)</sup>

(١) الرسائل: ٢٣

(٢) الواقعة: ٦٠ (وقد ورد القدر ومشتقاته في ثلاث وخمسين سورة من سور الكتاب العزيز منها البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأنفال..... - انظر الدعاء والقضاء د/محمد محمود الخطيب)

(٣) التعريفات: ص ١٧٤، انظر أيضاً الدين الخالص ج ٣ ص ١٤٦

(٤) المرجع السابق: ص ١٧٧ (وهذا التعريف صحيح ولكن ينقصه الشمول، واستيعاب جميع الأفراد، وهي مراتب القدر الأربع التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً)

(٥) انظر: لوائح الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٣٤٨.

وإتماماً للفائدة سأشير في عجلة للفرق بينهما.

### ثالثاً: الفرق بين القضاء والقدر: -

لما كان التفريق بين القضاء والقدر مما لم يرد فيه قول ثابت بنص الكتاب والسنة فقد اختلف العلماء في تحديده على أقوال عدة: - الأول: أن المراد بالقدر التقدير، والقضاء الخلق، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه<sup>(١)</sup>

الثاني: القول بالتوقف حيث امتنع التفريق بصريح الأدلة من الكتاب والسنة وعليهما المعول فيما من شأنه التوقف<sup>(٢)</sup>

الثالث: أنه يفرق بينهما، ولهم في توجيه ذلك الفرق عدد من الأقوال: -

١ - منها ما أورده الحافظ ابن حجر<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - بقوله: "القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفصيله"<sup>(٤)</sup>.

٢ - ومنها ما ذكره بعض العلماء، من أن القضاء هو ما يتحقق وقوعه، أما القدر فهو ما يمكن توقف إنفاذه، فيكون القدر بمثابة العلم الأزلي والقضاء المشيئة

(١) لسان العرب ٥/١٨٦، وانظر أيضاً الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٣٢٨

(٢) انظر: فتح الباري (٤٧٧/١١)

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني الكنايني، ولد في القاهرة - ٧٧٣هـ من عائلة فلسطينية الأصل من قبيلة كنانة بن خزيمه، حفظ القرآن في سن الثامنة عشرة وكان قاضى قضاء الشافعية توفي في أواخر ذي الحجة ٨٥٢هـ (موسوعة الأعلام لخيرالدين

الزركلي ج ١ ص ١٧٨)

(٤) فتح الباري (٤٧٧/١١)

النافذة<sup>(١)</sup> وقد ذهب الأشاعرة<sup>(٢)</sup> إلى توجيه آخر لذلك الفرق حيث ذكر في شرح المواقف: "أن قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره: إيجادها على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها"<sup>(٣)</sup> أما الماتريدية<sup>(٤)</sup>: فيعرفوا القضاء على مذهبهم بأنه انقطاع الشيء وقامه، وأما القدر، فهو عندهم على وجهين: أحدهما الحد الذي يخرج عليه الشيء، وهو جعل كل شيء على ما هو عليه من خير أو شر.... والثاني: بيان ما يقع عليه كل شيء من زمان ومكان<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ص ٤٠٧ (وهذا التفريق تبطله الأدلة التي دلت على أن كلا الأمرين قد يتغير فلا يقع، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): "لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل وإن البلاء لينزل فينلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة" أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٤٩٢/١ وأيضاً عن النبي (ﷺ) أنه قال: "تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء" أخرجه البخاري: كتاب القدر باب من تعوذ بالله من درك الشقاء. رقم الحديث ٦٦١٦

(٢) نسبة إلى الإمام علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ولد عام ٢٦٠هـ وقيل ٢٧٠هـ ومات عام ٣٣٣هـ وقبل ٣٢٤هـ وقبل ٣٣٠هـ وقد سكن في بغداد إلى أن توفي بها (انظر: تاريخ بغداد ط ١ ص ٣٤٦—٣٤٧ طبعة الخانجي عام ١٩٣١م) وإذا كان الإمام الأشعري قد تتلمذ في مدرسة المعتزلة على أحد زعمائها أبي علي الجبائي قبل أن يخرج عليها، فإنه وهو مؤسس الأشعرية قد تخرج في مدرسته كبار رجال المذهب (انظر: موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢١٣ وما بعدها يحيى هاشم فرغلي)

(٣) السيد الشريف الجرجاني "الالهيات ص ٢٩٦ تحقيق د/محمد المهدي

(٤) تنسب إلى الإمام أبي منصور الماتريدي الحنفي المتوفي عام (٣٣٣هـ) أحد رجلين يشار إليهما باعتبارهما رئيسي أهل السنة والجماعة في علم الكلام (مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة ج ٢ ص ١٥١—١٥٢ مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور نشر دار الكتب الحديثة).

(٥) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي ٧١٦/٢. (من الملاحظ إن تعريف القضاء لديهم يرجع إلى صفات الأفعال وهي قديمة لديهم كصفات الذات، وكذلك القدر فهو قديم لديهم لأنه يرجع إلى صفة العلم، أما القضاء عند الأشاعرة يرجع إلى الإرادة وهي من صفات المعاني القديمة، أما القدر عند الأشاعرة فهو إيجاد فيكون من صفات الأفعال الحادثة لديهم لذا فهو حادث (انظر: في ذلك: نظرات في العقيدة الإسلامية د/محمد الأنور حامد عيسى ص ١٢٦—١٢٧) ولعل الأقرب - والله أعلم - أنهما إذا اجتمعا افترقا، بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة. وإذا افترقا اجتمعا، بحيث إذ أفرد أحدهما دخل فيه الآخر.

رابعاً: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر: -

دل على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان ، الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والفطرة والعقل.

أ: الأدلة من القرآن الكريم وهى كثيرة منها: -

١- قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا...﴾ <sup>(١)</sup> ومعنى الآية الكريمة: - أن الله - ﷻ - قدر أن يخلق خلقاً ، ويأمرهم وينهاهم ، ويجعل ثواباً لأهل طاعته ، وعقاباً لأهل معصيته ، فلما قدره كتب ذلك وغيبه فسماه الغيب وأم الكتاب ، وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم ، وآجالهم وأعمالهم ، فكان أمر الله الذى مضى وفرغ منه ، وخلق الخلق عليه قدراً مقدوراً <sup>(٢)</sup>

٢- وقوله تعالى: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا...﴾ <sup>(٣)</sup>

ب: الأدلة من السنة: -

لقد تضافرت الأدلة من السنة المطهرة على الإيمان بالقضاء والقدر <sup>(٤)</sup> منها: -

(١) الأحزاب: ٣٨

(٢) انظر: تفسير جامع البيان للطبري المجلد العاشر ص ٣٣٦

(٣) الأنفال: ٤٢

(٤) انظر في ذلك الدين الخالص ج ٣ ص ١٦٦ وما بعدها

١- ما ذكره النبي (ﷺ) في حديث جبريل المشهور، ولا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر<sup>(١)</sup> روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحيد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله (ﷺ) فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفى لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاستفتته أنا وصاحبي أحداً عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر في شأنهم وأهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برىء منهم وأهم براء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر<sup>(٢)</sup>.

(١) عَنْ (عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَحُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضُ الثِّيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادُ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى السِّيِّدِ ﷺ، فَأَسْتَدْرَكْتَنِي إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَجْدَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ إِقَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ" قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تُعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تُكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ". ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْنَا مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ". صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله (٢٩٢/١)، رقم ٩٣ و مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين رقم الحديث ٣٦٥

(٢) كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله مسلم (٨)

٢- وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه" (١).

٣- روى مسلم في الصحيح قال: "وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا أو كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل" (٢).

ج: الإجماع: -

فقد أجمع جمهور المسلمين على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر قال النووي (٣): "وقد تضافرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف - على إثبات قدر الله سبحانه" (٤).

د: - دلالة الفطرة: -

الإيمان بالقضاء والقدر معلوم بالفطرة السليمة، ولم ينكره إلا الدهريون والزنادقة والملحدون وقد وقع اللغط في فهمهما ولهذا قال - سبحانه - عن المشركين: ﴿سَيَقُولُ

(١) رواه الترمذى في كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (٢١٤٤) وقال هذا حديث لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون، وهو منكر الحديث، ولكن الحديث له شواهد تؤيده، وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى (١٧٤٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٣٩).

(٢) صحيح مسلم كتاب القدر باب في الامر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله رقم (٢٦٦٤) حكم المحدث: صحيح

(٣) هو يحيى بن شرف بن مرى بن حسن النووي، أبوزكريا محي الدين من أهل نوى من قرى حوران جنوبي دمشق. علامة في الفقه الشافعى والحديث واللغة، من تصانيفه المجموع شرح المذهب "و لم يكمله"، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، توفي ٦٧٦هـ — (انظر: النجوم الزاهرة ٧/٢٧٨، طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥/٥)

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (١٥٥/١)

الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوِ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا <sup>(١)</sup> فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك ، ثم بين سبحانه أن هذا هو شأن من كان قبلهم <sup>(٢)</sup> - ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ <sup>(٣)</sup>

هـ:- دلالة العقل :-

العقل السليم يقطع بأن الله هو خالق هذا الكون ، ومديره ، ومالكه ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف والأرتباط المتلاحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة ، إذ الوجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده ، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟ فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا ما قد شاءه وقدره <sup>(٤)</sup>

(١) الأنعام: ١٤٨

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ٧٩/٥

(٣) الأنعام: ١٤٨

(٤) انظر: الرياض الناضرة للشيخ عبدالرحمن السعدي ص ١٩٤



## المبحث الثاني: بعض الحقائق والمعطيات الإيمانية

تمهيد: - تشير بعض النصوص أن القضاء لا يرد ، ولا يتبدل ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُضِيَ إِلَيْكَ الْأَمْرُ فَلْيَضْحَكُوا وَلَا تَبْكُوا ۚ وَالْحُكْمُ أَكْبَرُ مِنَ الْقُوَىٰ ۚ ﴾ (١) وكقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۖ ﴾ (٢) ويثبت من البعض الآخر ما يشير - في ظاهره - إلى خلاف ذلك كما في حديث الرسول (ﷺ) "لا يرد القضاء إلا الدعاء.." (٣) ولتحريير هذا الإشكال وبيان العلاقة بينهما كان لزاماً على أن أسلك بعض الخطوات الهامة ، للوصول إليها. وذلك اتباعاً لمنهج أئمة أهل السنة تصدير النظر في مباحث العقائد بالنظر في إثبات الحقائق أولاً، إذ على تقدير ثبوتها يمكن النظر والبحث في باقي المسائل الاعتقادية، وبانتفاؤها يستحيل النظر فيها.

ومن هذه الخطوات الإتيان ببعض الحقائق الهامة والمقدمات اللازمة وهي حقائق تتعلق - جوهرأ - بعقيدة القضاء والقدر، فإذا استطعت أن أميط اللثام عنها استطعت أن أزيل هذا الإشكال البادي على سطح النصوص ، وهذا ما سأفعله - بإذن الله - في هذا المبحث. ولكن أود أن أنوه بأن هناك أموراً خلافية عديدة تتعلق بتلك الحقائق لن اتطرق إليها مفصلاً لعدم الإطالة ولكونها ليست محل البحث وسأكتفي بإشارات طفيفة لها في متن البحث أو هامشه كلما كان ذلك ضرورياً ، أما ما يستحق الوقوف سأقف عليه أو سأرجئ الرد عليه إلى حينه.

(١) البقرة: ١١٧

(٢) الأحزاب: ٣٨

(٣) سنن الترمذي "كتاب القدر" باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء حديث رقم (٢١٣٩)

## المطلب الأول: كون القضاء عقيدة مرتبطة بالعلم والإرادة والقدرة

هذه الحقيقة توضح أن عقيدة القضاء والقدرة عقيدة ترتبط بصفات العلم والإرادة والقدرة ، وهذا الارتباط يعنى: أنه لا يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته وآثارهما في مخلوقاته حتى يؤمن بسبق علم الله - تعالى - بكل شيء، وكمال قدرته، ونفاذ مشيئته وحسن تدبيره لخلقه بفضله ورحمته ، وعدله وحكمته وذلك يتطلب: -

أولاً: - إثبات صفة العلم: - <sup>(١)</sup> والعلم صفة من صفات المعاني ذلك لأن إبداع الأشياء إنما يكون من العلم بحقائقها ، فما من شيء في هذا الوجود بذراته ومعجزاته، وبخيره وشره، إلا وقد أحاط الله - تعالى علماً في الأزل. وقد اتفق على عموم علمه تعالى واستدل بالعديد من الآيات القرآنية الواردة في هذا السياق: - منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله جل جلاله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ <sup>(٤)</sup>

١ ) هي صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به، من غير سبق خفاء (تحفة المريد على جوهر التوحيد لإبراهيم البيجورى ص ٤٣ ، وانظر أيضاً: المواقف للإيجي الموقف الخامس ص ٢٨٧)

٢ ) الحشر: ٢٢

٣ ) النساء: ١٧٦

٤ ) يونس: ٦١

فعلمه - تعالى - ذاتي، انكشف به كل الشؤون، وقد تناول هذا الكشف الواجبات والجائزات والمستحيلات<sup>(١)</sup> فلا يعزب عن علمه - تعالى - شيء منها ولا يقبل علمه - سبحانه - التغيير بحال، فكل ما علم أنه سيكون، لابد أن يكون، وما علم أنه لا يشم رائحة الوجود لا يمكن بحال أن يشمها<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد ذلك الإمام الغزالي<sup>(٣)</sup> إذ يقول: "إن الله تعالى عالم بجميع المعلومات، محيط بما يجري في تخوم الأرضين إلى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذر في الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي، لم يزل موصوفاً به في أزل الأزل لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالتحول والانتقال"<sup>(٤)</sup>.

**ثانياً:- صفة الإرادة<sup>(٥)</sup>:** كذلك إرادة الله - تعالى - هي صفة من صفات الذات، الإيمان بها على أنها مكون من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر، وتعلق الإرادة حصراً بالممكنات

١ (والعلم بذلك يكون عام التعلق لجميع المعلومات وليس مختصاً ببعض دون بعض، والا لزم الجهل والترحيل

بلا مرجع وكلاهما باطل) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للشيخ محمد أمين الكردى الإربلى ص ٣٥

٢ (انظر: شرح المواقف للشریف الجرجاني الموقف الخامس تحقيق أحمد المهدي ص ١٠٨

٣ (هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب (حجة الإسلام) زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي ولد عام ٤٥٠ وتوفي عام ٥٠٥ هـ — بالطبراني (قصة طوس) (وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٨٨)

٤ ( كتاب الأربعين في أصول الدين ص ٨-٩ وانظر أيضاً: المطالب العالمة من العمم الالهى ج ٣ ص ١٥٢-١٥٣

٥ (الإرادة في اللغة :معنى القصد، ويراد منها المشيئة) (راجع تحفه المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم البيهقوري ص ٧٨) والإرادة في الاصطلاح عند المتكلمين هي صفة ثبوتية قديمة قائمة بذاته تعالى أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة. (راجع المواقف الموقف الخامس ص ١٤٨ وما بعدها،

٢٩١، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ج ٢ ص ٣٣٧)

تعلق تخصيص ، ومالا يقبل التخصيص - بداهة - كالواجب الذاتي ، والمستحيل الذاتي لا تتعلق به إرادته تعالى<sup>(١)</sup> .

ومعلوم أن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه<sup>(٢)</sup> ، ولولا التخصيص لكان من المحال وجوده ، لأنه يقبل المتناقضات ابتداء من الوجود والعدم ، وانتهاء بالكم والكيف والزمان والمكان<sup>(٣)</sup> .

ومعلوم أنه لا يتحقق له الوجود بهذه المتناقضات معاً ، فكان لابد من أن يخص بعضها ومن الأمور الهامة المتعلقة بصفة الإرادة والخدمة لبيان حقيقة العلاقة بين الدعاء والقضاء وحل ما زعم من وجود إشكال فيما بينهما، كون الإرادة في كتاب الله نوعان: - فإذا استعرضنا استعمال القرآن الكريم للفظ " الإرادة " منسوبة له - سبحانه - وجدنا أن لها في الآيات استعمالين: -

أ/ بمعنى الإرادة الكونية: أى التي تقابل الأمر الكوني والقضاء والقدر، فهي الإرادة التي يتم بها الأمر الكوني والقضاء والقدر، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي﴾<sup>(٤)</sup> وقوله سبحانه: ﴿وَلَا

١) فلا تعلق لها بالواجب الذاتي، ولا بالمستحيل الذاتي، لأن الأول - وهو الواجب - لا يقبل التخصيص، وإذا التخصيص يدور في إطار الإيجاد والإعدام، والممكن - وحده - هو الذى يقبل كلاً من الوجود والعدم على حد سواء، أما الواجب الذاتي فلا يقبل الانتفاء أصلاً، ووجوده ثابت أزلاً بلا تخصيص، والمستحيل كذلك لا يقبل التخصيص، لأنه لا يقبل "الثبوت" بحال، وهو منتف انتفاء ذاتياً دون تخصيص (انظر: التعريفات للرحماني ٨٥ وما بعدها).

٢) انظر: شرح المقاصد للفتاوى ج ٤ ص ٢٧٤

٣) راجع: تحفة المريد على جوهرة التوحيد إبراهيم البيهقورى ص ٤١

٤) الزمر: ٣٨

يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ<sup>(١)</sup> فالأفعال والأقدار التي تصيب العباد وتحدث في الكون فبسبب لهم الآلام أو غيرها إنما هي بإرادة الله وحده ، وهي نافذة لا مرد لها مادام الله - سبحانه - أرادها. فهي إذا إرادة كونية نافذة<sup>(٢)</sup> والمراد بها جبر مطلق على العباد ؛ حيث لم يجعل الله - تعالى - للعبد قدرة على الخروج عنها والتمرد عليها بحال من الأحوال ، فهي لا تتعلق بأفعال العباد الاختيارية التي هي التكليف والجزاء إلا من حيث أنه - تعالى - شاءها أن تكون أزلاً كذلك فكانت بياناً لعموم إرادته.<sup>(٣)</sup> ومن ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾<sup>(٤)</sup>

فالمراد الله - سبحانه - إما إيجاد من عدم أى خلق ، وإما قضاء أى تغيير وأحداث بمخلوقات موجودة من قبل مثل قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدَلًا﴾<sup>(٥)</sup> ومراد الله إذا هو قدره حيث يقول: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾<sup>(٦)</sup> فالمراد لله - سبحانه - هنا هو مراد كوني وهو خلق أو قضاء أو قدر بالمعنى الكوني لها جميعاً فهو تعالى: ﴿يَفْعَلْ مَا يُرِيدُ﴾<sup>(٧)</sup> وهو القائل: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٨)</sup>

(١) هود: ٣٤

(٢) القضاء والقدر في الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقي ص ٣٥٣ باختصار

(٣) عقيدة المؤمن أبو بكر الجزائري ص ٣٥٤

(٤) المائدة: ١٧

(٥) الرعد: ١١

(٦) الكهف: ٨٢

(٧) البقرة: ٢٥٣

(٨) البروج: ١٦

ب/ المعنى الثاني للإرادة فهي الإرادة الدينية الشرعية :- وهي التي تقابل الأمر الابتلائي التخييري التشريعي كقوله تعالى: ﴿ مَا كُنَّا لِنُبَيِّنَ لَكَ شَيْئًا أَلَّا يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُ الْحِكْمَ وَبَيَّنَّنَا الْبَيِّنَاتِ وَأَعْلَمْتُ الْقَوْمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ ﴾ (١) أى أن الله بتشريعه وأوامره ودينه التخييري الابتلائي لهم يريد لهم الآخرة ، وهذا المراد من الله لا يمكن أن يكون مراداً كونياً نافذاً وإلا لما وقع المؤمنون فيما وقعوا فيه من خطأ ، وإنما ذلك يعنى أن الله - تعالى - أراد أن يفعل المؤمنون كذا ولكنهم فعلوا خلاف ذلك. ومثل ذلك قوله - سبحانه - لنساء النبي (ﷺ) آمراً آمراً تشريعياً ابتلائياً بإرادة تشريعية ابتلائية كذلك: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۚ ﴾ (٢)

فهنا - أيضاً - إرادة تشريعية تكليفية تخيرية لابتلاء الإنسان، وليست إرادة كونية نافذة (٣) وكقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٤) وقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۚ ﴾ (٥) أنه بدون التفرقة بين الأمر الكوني والأمر الابتلائي، وبين القضاء الكوني والقضاء الابتلائي وبين الإرادة الإلهية الكونية والإرادة الابتلائية سيكون الأمر غامضاً متناقضاً، وبالتفريق بينهما جميعاً سيكون الأمر واضحاً جلياً (٦) من هذه الفروق مايلي: -

(١) الأنفال: ٦٧

(٢) الأحزاب: ٣٣

(٣) انظر مهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ج ٣ ص ١٦ - ١٨

(٤) البقرة: ١٨٥

(٥) النساء: ٢٦

(٦) راجع في ذلك : مدارج السالكين ج ٢ ص ١٤٠ وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر

الطحاوي ص ٣٦٣ - ٣٦٤

١- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها ، أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها ، فالكونية مرادفة للمشيئة ، والشرعية مرادفة للمحبة.

٢- الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس - مثلاً - وسائر الشرور، لتحصل بسببها محاب كثيرة ، كالتوبة ، والمجاهدة ، والاستغفار. أما الشرعية فمقصودة لذاتها ، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها.

٣- الإرادة الكونية لا بد من وقوعها ، كإحياء أحد أو إماتته ، أو غير ذلك. أما الشرعية كالإسلام فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين<sup>(١)</sup>. فهذه الإرادة - أى الشرعية - هى المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح هذا ما لا يريد الله ، أى لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به ، وهى نقطة خلافة سائير إليها إشارة وجيزة لما لها من ارتباط بموضوع البحث وهى على قولين:-

القول الأول:- أن الإرادة تستلزم الرضى، وهو قول المعتزلة القدرية<sup>(٢)</sup> والجهمية<sup>(٣)</sup>.  
أ- فالمعتزلة القدرية قالوا:- قد علم بالدليل أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ولا

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم ص ١٠٥-١٠٦ ، وص ٥٨٥-٥٨٦

(٢) كانت بداية ظهور حركة الاعتزال جواباً على السؤال الذى فرض نفسه أثر اختلاف المسلمين في مرتكى الكبيرة"فقال الخوارج كلهم كفار، وقالت المرجئة هم مؤمنون وقال الحسن البصرى هم منافقون فاعتزل واصل بن عطاء ومن تبعه وقالوا هم فاسق وليسوا بمؤمنين ولا منافقين ولا كافرين وهذه منزلة بين المتزلتين" (انظر: البدء والتاريخ لأبوزيد أحمد بن سهل البهلى ج ٦ ص ١٤٢-١٤٤) وسميت قدرية: لأنهم قالوا أن العباد يفعلون ما لا يريد الله - ﷻ - ولم يقدره من أفعال الشروق والهاذا ليس بقدر الله وقد قدر العباد على ما لا يريد الله من هذه الأعمال (انظر: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية تأليف الشيخ أبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى القسم الثالث تحقيق د/عبدالله سلوم السامرائى).

(٣) نسبة إلى جهنم بن صفوان الراسى: كاتب الحارث بن سريج، تلمذ للجعدي بن درهم وكان عنه الذهبي: الضال المتبدع رأس الجهمية، أول من قال بالإجبار في الأعمال (انظر: الفرق للبيضاوى ص ٢١١)

يجب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر، ويكره الكفر والفسوق والعصيان. ولما كان هذا ثابتاً لزم أن تكون المعاصي ليست مقدرة له ولا مقضية <sup>(١)</sup>.

ب - أما الأشاعرة وعامة أهل السنة: - فقالوا قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكة ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فالأمور كلها تقع بإرادته <sup>(٢)</sup>، وأن النصوص الواردة في المشيئة والإرادة وفي المحبة والرضى ليس بينهما تعارض مطلقاً إذا أعطيت حقها من الفهم والتفسير الصحيح <sup>(٣)</sup>.

وذلك كما أوضحت - سابقاً - بأن الإرادة في النصوص لا تحمل معنى واحد والحق أنها نوعان ، إرادة كونية وأخرى تشريعية ، وهذا لا يعنى تعدد الإرادة وإنما هى واحدة كصفة لله - سبحانه - ولكنها إذا صدرت للمخلوقات بكلمة كن ، أو بأى أمر تشريعى أو بقضاء معين ، فإنها تصبح ابتلائية تخيرية للإنس والجن وكونية لغيرهما من المخلوقات التي لم تخلق للإبتلاء. فالأمر إلهي واحد ولكنه كونى لكائن وابتلائى لآخر وذلك كما في قوله للملائكة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ <sup>(٤)</sup> فالأمر أو القضاء أو الإرادة الإلهية واحدة ، ولكنها بالنسبة للملائكة كونية ، حيث لا يعصون الله ما أمرهم ،

(١) راجع في ذلك : شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٤٠٩ ، ٤٦١ تحقيق د/عبد الكريم عثمان ، والمحيط بالتكليف المجلد الأول ص ٢٥٤ ، ٢٨٦ وما بعدها (وهذا ما أوقعهم في مشكلة خلق أفعان العباد كما سيتضح ذلك في حينه).

(٢) انظر النعم في الرد على أهل الريغ والبدع للأشعرى ص ٤٨ وما بعدها

(٣) راجع تفصيل ذلك في: الاستقامة ج ٢ ص ٧٨-٧٩ ، مدارج السالكين ج ٢ ص ١٤٣ وما بعدها ، ومفتاح دار السعادة ص ٣٩٤

(٤) الكهف: ٥٠.



وبالنسبة لإبليس الذي كان من الجن وهو حرمبتلى أمراً ابتلياً ، ومن ثم فإن إبليس عندما فسق عن أمرربه لم يخرج عن أمرربه الكوني وإنما خرج وعصى الأمر الابتلائي التشريعي بالسجود<sup>(١)</sup>.

**ثالثاً: صفة القدرة<sup>(٢)</sup> :-** يجب الإيمان - أيضاً - بصفة القدرة بكونها من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن مجال القدرة: الإيجاد والإعدام والإمداد ، لذا لا تتعلق إلا بالممكن<sup>(٣)</sup> سواء كان كلياً أو جزئياً جسماً أو عرضاً ، ويشمل ذلك ما له سبب كأفعالنا الاختيارية من حركات وسكنات عند وجوب السبب وهو تعلق القدرة الحادثة<sup>(٤)</sup> بالمقدور على وجه المصاحبة ، وكالإحراق عند مماسة النار، والشبع عند الأكل، ويشمل - أيضاً - مالا سبب له كالسموات والأرض فلا تأثير لغيره تعالى في شيء ما<sup>(٥)</sup> ودليلها القرآني قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾<sup>(٦)</sup> وعليه

- (١) القضاء والقدر في الإسلام فاروق أحمد الدسوقي ص ٣٥٨-٣٥٩ باختصار
- (٢) القدرة لغة: بمعنى القوة والاستطاعة، وضدها العجز واصطلاحاً: صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ينأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه، على وفق علمه تعالى وإرادته (انظر: أرجوزة جوهرية التوحيد للإمام ابراهيم بن حسن اللقاني مع شرحها تحفة المريد ص ١٣٨ "القسم الأول") وقد اختلف في مفهوم القدرة بين المتكلمين (راجع: قضية الألوهية عند المتكلمين د/حامد على الخولى ص ٧٨ )
- (٣) لأنه هو القابل للإيجاد والإعدام، أما الواجب والمستحيل فلا تتعلق بهما، لأهما إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه، لأنه لا يقبل العدم، ولا يصح أن توحد، لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل، وإن تعلقت بالمستحيل، فعلى العكس من ذلك (أرجوزة جوهرية التوحيد لإبراهيم اللقاني، القسم الأول ص ١٣٩).
- (٤) وتعلقات القدرة ثلاث: تعلق صلوحى قديم: أى صالحيتها قبل وجود الممكنات للتعلق، تعلق تنجيزى حادث: والمراد به تنجيز وجود الشيء وتبرزه من العدم إلى الوجود والعكس وهو شأن الله الذى أحبر عنه بقوله: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" (الرحمن: ٢٦) وتعلق القضية: بمعنى أن الممكن بعد أن يوجده الله هو في قبضة القدرة إن شاء أبقيه موجوداً، وإن شاء أعدمه عند حلول وقت عدمه أو موته (راجع: تحفة المريد على جوهرية التوحيد للبيجورى ص ٤٥).

(٥) انظر تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص ٢٩

(٦) فاطر: ٤٤

تبرز القدرة فيما لا يزال ما خصصته الإرادة - أولاً - كما خصصته ، على أن تخصص الإرادة يطابق ما تعلق به علم الله تعالى<sup>(١)</sup> .

كما سبق يتبين بأن القضاء والقدر عقيدة تتعلق بصفات العلم والإرادة والقدرة ، فكل ما كان وما يكون وما سيكون إنما هو مخلق الله وبعلمه الذي لا يتغير ، وإرادته التي لا يغلبها مغالب . إذ هو القاهر فوق عباده ، فجميع الخلائق مهورون بقدرته ، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك ﴿ لَا يُشْئِلُ عَمَّا يُفَعْلُ وَهُمْ يُشْكِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وما ذلك إلا لعموم علمه وإرادته وقدرته<sup>(٣)</sup>

### المطلب الثاني : قاعدة الأخذ بالأسباب وربطها بمسبباتها : -

الإيمان بالقضاء لا ينافي الأسباب ، فإن الأسباب من قدرة الله سبحانه ، وربط المسببات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أعظم وأجل صفاته ، والتي أثبتها الله - تعالى - لنفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> ولكن هذه القاعدة الإيمانية لم يتلقاها الجميع بمفهومها الصحيح ، وكما كان ينبغي أن يتلقوها ، وخاصة أن لها دلائلها العديدة من القرآن والسنة والعقل وعالم المشاهدة ، لذا سأحاول جاهدة - بقدر المستطاع - أن ألقى الضوء عليها ؛ لأن لها اليد الطولى في الإسهام للوصول إلى النتيجة التي يبحث عنها من خلال موضوع البحث .

(١) وقد خالف في ذلك الملاسفة حيث ارجعوا صفة القدرة إلى صفة العلم ، حيث ذهبوا إلى أن إيجاده للعالم من لوازم ذاته فيمتنع حلوله عنه فأنكروا القدرة بالمعنى المذكور ، لأعتقادهم أنه نقصاً واشتبوا له الإيجاب زعماً منهم أنه الكمال التام (المواقف للابن أبي عمير ص ٢٧١ )

(٢) الأنبياء: ٢٣

(٣) انظر: تنوير القلوب: محمد أمين الكردي ص ٤١

(٤) النساء: ١٧

أولاً: تعريف الأسباب: جمع سبب وهو كل حادث رتب الله - تعالى - عليه أثراً<sup>(١)</sup>

وهي نوعان: أولهما الأسباب القدريّة: وهي كل حادث مؤثر بقضاء الله وقدره. ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾<sup>(٢)</sup> فجعل الرياح سبباً لإثارة السحاب الذي يكون به الغيث، وكجعل الماء سبباً للحياة، والنار سبباً للإحراق.

وثانيهما: أسباب شرعية: وهي كل فعل مطلوب من العبد، وهو ما رتب الله عليه ثواباً أو عقاباً. فهو سبب شرعي بهذا الاعتبار، وهو سبب قدرى باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره<sup>(٣)</sup>

ثانياً: - تعدد الآراء والأقوال في ارتباط الأسباب بالمسببات: -

إذا تتبعنا حال المسلمين منذ نزول الوحي على الرسول الكريم (ﷺ) حتى عصر ترجمة العلوم إلى العربية، سنجدهم على عقيدة واحدة وهي أن كل ما يحدث في الكون إنما هو من خلق الله - تعالى - وتأثيره وفقاً لإرادته وقدرته تعالى<sup>(٤)</sup> وقد آمن المسلمون بما بناء على إيمانهم أن القدرة هي أخص وصف لله تعالى، ولاستمدادها من القرآن الكريم<sup>(٥)</sup> حيث

١ (انظر: التعريفات للشريف الجرجاني ص ١٢٠، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٦٤)

٢ (الروم: ٤٨)

٣ (انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج ١ ص ٥١٨)

٤ ( انظر في ذلك: الفرق الإسلامية في الميزان د/ يحيى هاشم حسن فرغل ص ٩ وما بعدها)

٥ ( إذ توجد آيات عديدة يظهر فيها التقابل بين الإله الحق والآلهة الباطلة التي كان الناس يعبدونها قبل الإسلام، وتبين الآيات أن الإله الحق هو الذي يملك القدرة على الخلق والإيجاد، بينما الآلهة الباطلة عاجزة

وليس لديها أي قدرة قال تعالى: "أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٣﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا

أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ" (الأعراف: ١٩١، ١٩٢)

وجدت آيات قرآنية عديدة تتحدث عن ذلك كما في قوله: ﴿أَنَّا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا ۝١٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝١٦ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جِبًّا ۝١٧ وَعَبَّاقَصْبًا ۝١٨ وَزَيَّنَّاهَا وَمَخَلَّا ۝١٩ وَحَدَّائِقَ غُلْبًا ۝٢٠ وَفَكَهْمًا وَأَبًّا ۝٢١ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا ۝٢٢﴾ (١)

وبلا شك فقد كان لهذه الآية ومثيلتها الأثر الكبير على عقيدة المسلمين الأوائل - سواء من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم - فآمنوا جميعاً أن الله - سبحانه - بقدرته وأمره هو السبب الحقيقي لكل صغيرة وكبيرة تحدث في العالم (٢) ولكن لم يستمر هذا الأمر كثيراً لعوامل عديدة حيث وجدنا الفرق الكلامية انقسموا في هذا الشأن إلى أربعة آراء. الأول: طائفة أنكروا تأثير الأسباب بنفسها: - وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها وهم الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري (٣) إذ ينفون الاقتران الضروري بين الأسباب والمسببات كما قال الفلاسفة (٤) ويؤكد ذلك الإمام الغزالي إذ يقول: "أن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً، وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا" (٥) وذهبوا إلى أن الأسباب لا

(١) عبس: ٢٥-٣٢

(٢) انظر: نظرية السببية في الفكر الكلامي الإسلامي د/عبدالعزیز سیف النصر ص ٦-٧

(٣) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن موسى الأشعري صاحب الأصول والقائم بنصره مذهب أهل السنة وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وكان أولاً معتزلياً ثم انخلع عن مذهب الاعتزال، قال ابن حزم له خمسة وخمسون تصنيفاً وتوفي سنة ٣٣٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٨٦/١٥-٨٧، والاعلام ٦٩/٥)

(٤) حيث يرون بأن هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة (انظر: تحف الفلاسفة للإمام الغزالي ص ١٧٦). إذ نجد ابن سينا يذهب إلى القول بأن هناك ضرورة حتمية تلف الكون كله وتحيطه ولا تسمح بأن يقع شيء أو حدث أو فعل في الكون إلا باعتقاصي العلل الطبيعية المتواترة المعروفة لهذا الشيء (انظر: ابن سينا رسالة في سر القدر ص ٣ وما بعدها من كتاب الاشارات والتهيهات ح ٣، والعارفي في السياسات المدنية ص ١٨ من رسائل العارفي)

(٥) تحف الفلاسفة ص ١٧٦

تأثير لها ، وإن كان الظاهر يوحى بغير ذلك ، وأن المؤثر هو الله سبحانه ثم جعلوا تلازماً عادياً بين الأسباب والمسببات ، أى يمكن أن يتخلف وذلك حتى يصح الإيمان بالمعجزات ولتوضيح الأمر وبيانه قالوا بأن النار تحرق لكنها ليست هى المؤثرة بل الله - سبحانه هو المؤثر الحقيقى بأن خلق الاحتراق ، وهذا ما دعى الإمام الغزالي إلى القول: "فما الدليل على أنهما الفاعل؟ وليس لهم دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندنا، ولا تدل على الحصول بها، وأنه لا علة له سواها"<sup>(١)</sup>

كما أردف قائلاً: "أن الحادثات كلها جواهرها وأعراضها الحادثة منها في ذات الأحياء والجمادات واقعة بقدرة الله تعالى ، وهو المستبد باختراعها ، وليس يقع من بعض المخلوقات ببعض، بل الكل يقع بالقدرة"<sup>(٢)</sup> . كما يقول ابن حزم<sup>(٣)</sup> في هذا: - ذهب الأشعرية إلى إنكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر، ولا في الثلج برد ، ولا في العالم طبيعية أصلاً<sup>(٤)</sup> وعرف من قولهم - أيضاً - استحالة أن يكون لشيء من العالم تأثير البتة في أثرها ومن يقول ذلك - لديهم - فهو كافر مشرك ؛ لما يلزم عليه من خروج ذلك الأثر عن قدرة الله وإرادته ، وذلك يوجب أن يغلب الحادث القديم وهو محال فلا أثر إذا لقدرة

(١) المرجع السابق ص ١٧٧ (والغزالي هنا استناداً على هذا المثل يرى أن النتيجة التي أنتهى إليها هى حق بالنسبة لكل الحوادث المتتابعة في الطبيعة).

(٢) الإمام الغزالي الاقتصاد في الاعتقاد ص ٦٠ ، وانظر أيضاً: كتاب التمهيد للقاضى أوبركر الباقلان ص ٥٢-٦٨ تحقيق د/الحضري ود/أوريدة

(٣) هو الإمام الأوحى ذو الفنون والمعارف، أبو محمد عيسى بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد أبو محمد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ - وكان يهوى بعلوم جمّة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مكباً على العلم (سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٨٤)

(٤) الفصل في الملل والنحل ج ٥ ص ١٤-١٥

المخلوق في حركة ولا سكون ولا طاعة ولا معصية ولا في أثر ما على العموم لا مباشراً ولا تولد<sup>(١)</sup>

الرأى الثانى: - حيث خالف هذا الاتجاه بعض المتكلمين من المعتزلة فاثبتوا السببية في الأشياء الطبيعية، وقالوا بتأثير الأشياء بعضها في بعض<sup>(٢)</sup> ونجد من الذين أثبتوا السببية اثنين من المعتزلة هما "النظام"<sup>(٣)</sup> و"معمر"<sup>(٤)</sup> أما معمر من خلال ما قرره مؤرخوا الفرق نستنتج مذهبه بأن الأشياء الطبيعية بما قوة تأثيرية في بعضها البعض. بحيث توجد أشياء لم تكن موجودة من قبل فيقول البغدادي<sup>(٥)</sup> عنه: "إنه يقول: إن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الأعراض، من لون أو طعم أو رائحة أو حياة أو موت أو سمع أو بصر، وأنه لم يخلق شيئاً من صفات

(١) شرح العقيدة الوسطى، محمد بن يوسف السوسى ص ٨٠ (والتولد الوارد في النص عند المعتزلة هو الفعل الصادر من الفاعل بوسط، ويقابله المباشرة وهو الفعل الصادر بلا واسط وقد لجأوا إليه لأنهم أسندوا أفعال العباد إليه وهذا باطل عند الأشاعرة لأستناد جميع الممكنات إلى الله ابتداءً "انظر: كشف اصطلاحات الفنون ١٤٢٧/٢" ومذهب الأشاعرة هذا قد وجد له أنصار في الفلسفة الحديثة، وقال به فلاسفة كبار لهم شأنهم عند العلماء التجريبيين المحدثين، وقد قرروا أن السبب إنما هو ظاهرة تقترب بالشئ، وليست هي علة وجوده، ومهمه العلم الآن هي وصف الظواهر المقترنة، وليس مهمته أن يصل إلى العلة ولا سيما العلة الأولى كما كانت تفعل الفلسفة قديماً ومن هؤلاء (دفيد هيوم) الذي أنهى إلى أن فكرة السببية باطلة، وأنها لم تكتسب ما بها من قوة إلا بالعادة وحدها وتكرارها فاهتدى إلى مسمى السببية (انظر: قصة الفلسفة الحديثة د/ زكى نجيب محمود وأ/ أحمد أمين ص ٢٣٧ — ٢٤٠)

(٢) انظر: المحيط بالتكليف للقاضى عبد الجبار المجلد الأول ص ٣٨٠

(٣) هو إبراهيم بن سيار بن هاني البصرى أبو اسحاق من أئمة المعتزلة تبحر في علوم الفلسفة وانفرد بأراء خاصة، تابعته فيها فرقة المسماة النظامية، وكان يميل للطبيين وعنه أخذ الكعبي مذهبه في الارادة. (طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٤٩، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٣١)

(٤) وهو أبو عمر معمر بن عباد السلمى، تفرد بمذاهب وهو من القدرية، وكان يميل لمذهب الفلاسفة، ومن تلاميذه عيسى بن صبيح المردار، وانفرد عن أصحابه بمسائل منها الأجسام والأعراض وكلام الله، الحركة والسكون ... توفي سنة ٢١٥هـ — ٨٣١م

(انظر: سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٢٧٢)

(٥) هو الإمام المحدث المتقن صاحب التصانيف الحيلة والآثار اشيرة تلمذ على جهابذة عصره وعلماء وقته ... الشيخ: عبد القاهر البغدادي. وكان من العلماء البارعين، وأحد أعلام الشافعية في عصره، وهو

صاحب كتاب الفرق بين الفرق (انظر: سيرة أعلام النبلاء جزء ١٨ ص ١٦٩)

الأجسام" (١) ويؤكد ذلك صاحب الملل والنحل إذ يقول: "أن الله لم يخلق شيئاً غير الأجسام أما الأعراض ، فأفها من اختراعات الأجسام ، إما طبعاً كالنار التي تحدث الأحراق . والشمس الحرارة ، والقمر التوين ، وإما اختياراً كالحوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق" (٢)

و"النظام" انتهى به الأمر - أيضاً - إلى القول بوجود طبيعة في كل جسم ، وهذه الطبيعة هي السبب في كل الحوادث والتغيرات في العالم ، وأصل هذه الطبيعة أن الله - تعالى - قد بنها في الأجسام وقت خلقه - تعالى - للعالم (٣) وقد أضاف أفها خاضعة لسيطرة الله تعالى وإرادته. فمن الواضح أن المعتزلة كفرقة لم تكن على قول واحد في هذا الشأن ، حيث نجد جمهورهم مع الأشاعرة في أن الله - تعالى - هو السبب المباشر لكل الحوادث في العالم ، من أجسام أو أعراض قائمة بالأجسام ، وأنه لا توجد علاقة سببية بين الحوادث المتعاقبة في العالم الطبيعي.

وعلى جانب آخر نرى "النظام" الذي يقول أن العالم محكوم بواسطة قوانين السببية التي بنها الله - تعالى - في العالم وقت خلقه ، وهي خاضعة لسيطرة الله وإرادته ، بينما نجد قول ثالث "لمعمر" ، الذي يرى أن العالم محكوم بواسطة قوانين السببية وبالرغم من أن الله تعالى هو الذي خلق العالم ، فإفها تعمل مستقلة عن الله وغير خاضعة لإرادته ولا يستطيع تغييرها ، ومن هنا بدأ الغلو في إثبات تأثير الأسباب في مسبافها ، حيث كان القول بأنها مؤثرة بذاته (٤) .

١ ( الفرق بين الفرق ص ١٥١ )

٢ ( الشهرستان ج ١ ص ٦٥ ، انظر أيضاً: الانتصار للخياط ص ٨٠ ، ومقالات الاسلاميين للأشعري ج ٢ ص ٢٢٧ )

٣ ( انظر: الانتصار للخياط ص ٧٦ ، انظر أيضاً: حزم: الفصل في الملل والنحل ج ٣ ص ٥٨ )

٤ ( انظر: المحيط بالتكليف المجلد الأول ص ٣٤٠ وما بعدها )

لذا نجد "ابن حزم" على الرغم من اثباته للسببية بين الأشياء الطبيعية فجده يعارض "معمر" فيما ذهب إليه إذ يقول: "فمن نسب إلى ما يظهر منها أنها أفعالها مخترعة لها ، فهو في غاية الجهل وبالضرورة نعلم أن تلك الأفعال خلق غيرها فيها ، ولا خالق هاهنا إلا خالق الكل ، وهو الله لا إله إلا هو" (١) .

القول الثالث: - الذين اثبتوا للأسباب تأثير في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودع الله - تعالى - فيها من القوى الموجبة ، وبعد مشيئة الله وإذنه الكوني والقدري.

وفعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر. فلا تتم مصالح العباد في معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض ، فكيف بمعادهم ، فإن الله - تعالى - أمرنا أن ندفع السيئة وهي من قضائه وقدره ، بالحسنة وهي من قضائه وقدره (٢) ونصوص الكتاب والسنة حافلة باتخاذ الأسباب (٣) المشروعة في مختلف شؤون الحياة منها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٥)

كما روى الإمام البخارى عن عمر بن الخطاب وعن الصحابة - رضوان الله عليهم - أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرَعٍ لَقِيَهُ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ

(١) الفصل في الملل والحل ج ٥ ص ١٦

(٢) انظر: كتاب التوحيد من صحيح البخارى للشيخ عبدالله الفيضان ٦٢٩/٢

(٣) إذا أورد الحافظ ابن القيم كثير من أنواع ربط الأسباب بمسبباتها من خلال القرآن الكريم (انظر شفاء

العليل ص ٣١٦-٣١٧ ، ومدارج السالكين ج ٢ ص ٣٩ وما بعدها)

(٤) الجمعة: ١٠

(٥) الأنفال: ٦٠



أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا تَرَى أَنَّ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَرَى أَنَّ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الْأَنْصَارِ، فَدَعَوْهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: تَرَى أَنَّ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرِ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ ! نَعَمْ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ غُدُوتَانِ، إِحْدَاهُمَا خِصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخِصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنْ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ). قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ انصَرَفَ <sup>(١)</sup>

كما أمرنا - سبحانه - باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه كالصلاة والزكاة والصيام والحج. "وحياة الرسول (ﷺ) وأصحابه والسائرين على نهجهم كلها شهادة على أخذهم بالأسباب والاجتهاد فيها، ولهذا تحركوا وعملوا وانطلقوا في كل المجالات، حتى استطاعوا أن يكونوا دولة الإسلام الفتية في أقصر مدة من عمر الزمن" <sup>(٢)</sup>

(١) صحيح البخارى كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٢٩) ومسلم في كتاب السلام، باب

الطاعون والطيرة والكهانة (٢٢١٩)

(٢) نظرات في العقيدة الإسلامية د/محمد الأنور ص ١٣٣

كما أن ما سبقت به المقادير لا يقتضى ترك الأعمال والأخذ بالأسباب ،  
ولقد جاءت الشرائع السماوية كلها أمرة بالعمل ، وداعية إليه ، وحائثة عليه ،  
كما ناشد القرآن الكريم الانسانية كلها في مزاولة المهن والأعمال المختلفة<sup>(١)</sup> كما  
احيط العباد علماً بأن الله يرى أعمالهم ورسوله المصطفى والصالحين من عباده  
فقال عز من قائل: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وكقوله  
تعالى: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup> ولقد سلكت السنة المطهرة عين  
الطريق ونفس السبيل حيث قال رسول الله ﷺ ".... ما من نفس منفوسة إلا وقد  
كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتب شقية أو سعيدة فقال رجل: يا  
رسول الله أفلا تمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال "اعملوا فكل ميسر" أما  
أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل  
الشقاوة"<sup>(٤)</sup> ثم قرأ "﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَكَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ﴾<sup>(٥)</sup> وَأَمَّا  
مَنْ يُخْلِلْ وَأَسْتَفْتَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ﴾<sup>(٦)</sup> فدل هذا الحديث

١ ( انظر: آيات الدعاء في القرآن الكريم 'الدعاء والقضاء والقدر' محمد محموداً حمدو د/موسى الخطيب  
ص ٢٣

٢ ( التوبة: ١٠٥ (وقد ورد لفظ العمل ومشتقاته في القرآن الكريم مائة وإحدى وتسعين مرة منبثة في ثمان  
وستين سورة وفي أكثر من (٢٥) جزءاً من القرآن الكريم، ويفهم من هنا مدى اهتمام الإسلام بالعمل  
(انظر: المرجع السابق ص ٢٣ وما بعدها).

٣ ( فصلت: ٤٠.

٤ ( أخرجه البخارى في كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وعود أصحابه حوله (١٣٦٢) ومسلم  
في كتاب القدر باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته  
(٢٦٤٧)

٥ ( الليل: ٥ - ١٠.

ونظائره على أنه لا يترك العمل اتكالاً على القدر، وإنما يجب الجهد والاجتهاد، كذلك دل على أنه ليس لأحد أن يحتج بالقدر على فعل المعاصي وترك الطاعات، فمن الذي اطلع على ما كتب قدراً ليعلم أنه كتب عليه هذا أو ذاك؟ وإذا كان لم يطلع على ما كتب فهل له أن يحتج بالقدر على فعله؟! لذا فالكل مأمور بفعل الطاعات، ومنهي عن فعل المعاصي وكل ميسر لما خلق له، ولكلا الحالتين أسباب، ولذلك قرأ النبي (ﷺ) الآية الكريمة السابقة<sup>(١)</sup>.

ويؤكد ذلك ابن القيم<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - إذ يقول: اتفقت الأحاديث الواردة في هذا الباب على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال<sup>(٣)</sup> عليه بل يوجب الجهد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك القول: "ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن، وهذا يدل على جلالة فقه الصحابة - فإن النبي أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب، والعبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه، ومكن منه، وهيء له

١ ( انظر تفصيل ذلك في الجامع لأحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٩٤٤، وشرح السنة للبغوي

ج ١ ص ١٣٣

٢ ( هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التميمي البكري فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم ولد في بغداد ٥٠٨ هـ وتوفي ٥٩٧ هـ (سيرة أعلام النبلاء الجزء الحادي والعشرون

١٩٢/٣٦٥

٣ ( وفي الحقيقة هناك فرق كبير بين التوكل والتواكل، فالتوكل هو القوة الدافعة لله، الناعثة للعزائم، المجددة للأنشطة، المرشدة للخير، المؤدية للظفر والنجاح أما التواكل: فم يرد لفظه ولا مردفه، ولا مشتق من مشتقاته في القرآن الكريم إذ هو ترك العمل، وعدم الأخذ بالأسباب، وهذا لا يليق بآدم الذي خلقه الله على صورته، واستخفه في ملكه وكرمه على سائر خلقه بأن اصبح كمن ماعده مذلاً مسخراً له كما أن التواكل هو العجز بعينه، والسببية المقيته المنتزعة للإيمان من القلوب المتمردة على أوامر الله انظر: تنوير القلوب: محمد أمين الكردي ص ٤٧٥ : ٤٨٤، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي

ج ٤ ص ٢٥٣

، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذى سبق له في أم الكتاب ، وكلما زاد اجتهداً في تحصيل السبب كان المقدور أدنى إليه.... وذلك كمن قدر له الشيع والرى فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب ، وذلك شأن أمور المعاش والمعاد ، فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق ، فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالا على القدر، وقد فطر الله عباده على الحرص على الأسباب التي بها مراد معاشهم ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر على ذلك سائر الحيوانات فهكذا مصالحهم الآخروية في معادهم<sup>(١)</sup> ويكفي الإنسان أن ينظر في القرآن الكريم ليتأكد بنفسه من دعوة

الحق - سبحانه - له إلى الأخذ بالأسباب والعمل اذ يقول عز من قائل: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾<sup>(٢)</sup> كما يؤكد ذلك خاتم المرسلين بقوله: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"<sup>(٣)</sup> كما يقول: "ما أكل عبد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده"<sup>(٤)</sup>

وليس العمل المذكور في تلك الأدلة: إلا الأخذ بالأسباب والابتعاد عن التواكل والسلية. وقد أخطأ البعض حينما فهم معنى التوكل أنه أمر مقتضى لترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب وعليه فقد عطل كل مدركاته الحسية والعقلية وسكن سكون الجماد، معللاً ذلك بأن كل شيء من الله وإلى الله، وظن هذا الصنف من الناس أنهم بذلك قد وصلوا إلى الكمال المطلق في عبوديتهم لله سبحانه، وفي الحقيقة هذا الصنف أقل حالاً من الحيوان، إذ غريزة الحيوان تدفعه إلى الحركة والسعى والتوجه إلى ما ينفعه، والبعد عما يضره، أى أن الحيوان مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، ولو كان التوكل

(١) شفاء العليل: ص ٥٦، وانظر أيضاً: مدارج السالكين ج ٢ ص ٨٧

(٢) الملك: ١٥

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الزكاة باب قوله تعالى: "لا يسألون الناس إلخافاً" ١٥٤

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده ٧٤/٣

كما فهموه، لما أمر الله به أنبياءه، وما مدح الله المتصفين به وأثنى عليهم<sup>(١)</sup> كما في قوله:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٢)</sup>

القول الرابع: غلاة الصوفية: الذين ذهبوا بناءً على عقيدتهم الفاسدة في القول بوحدة الوجود إلى أن يستوى عندهم الخالق والمخلوق، العلة والمعلول، السبب والمسبب، الرتبة والمرتبة، فبالتالي لا وجود لديهم بالقول بالسبب أو غيره<sup>(٣)</sup>

ومن الملاحظ أننا إذا عدنا تحصيل اليقين القاطع للنزاع السابق، فلا نعدم الظن المفضي لترجيح الصواب على وجه تطمئن إليه النفوس، فأقول: إن الغالب في الظن أن أنصار القول الأول الأشاعرة وأتباع القول الثالث ليس بينهم بون شاسع فيما ذهبوا إليه، فتجد أنصار القول الأول يقولون بنفي التأثير للسبب منذ البداية والقول صراحةً بالمؤثر الحقيقي وهو الله تعالى، بينما منح أنصار القول الثالث التأثير والفاعلية للأسباب ظاهرياً؛ حيث أحالوها في نهاية المطاف إلى مسبب الأسباب وهو الله تعالى، لذا كان الأحرى بالقبول قول الأشاعرة لبيانهم المؤثر الحقيقي بدون لبس أو أبهام وخاصة على العوام وقبول معجزات الأنبياء

وفي نهاية عرض تلك الحقيقة: قد تبين أنه اقتضى عدله - سبحانه - وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء على الأسباب، فكلما أخذ الفرد بالسبب الذي وجهنا الله إليه

(١) راجع في ذلك: الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ص ٢١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي

ج ٩ ص ٣٠٩

(٢) الطلاق: ٣

(٣) راجع الفتوحات المكية ج ٣ ص ٤٥٢، وج ٤ ص ١٠٠

وربط ذلك بمشيئة وإرادته كلما وصل إلى النتيجة<sup>(١)</sup> ثم الرضا الكامل بما مهما كانت حتى لو خرجت على غير ما نتمنى ، إيماناً منا بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وتصديقاً لقول الرسول (ﷺ) "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"<sup>(٢)</sup>

### المطلب الثالث: أفعال العباد ومشكلة التخيير والتسيير

لقد كان منهج الصحابة منذ اللحظة الأولى الالتزام بالمنهج النبوي الكريم في فهم حقائق القرآن والسنة ونصوصها، كما كان اعتقادهم الراسخ أن القرآن الكريم هو المائدة التي يجب على كل فرد أو مجتمع أن يقبل عليها إقبلاً مباشراً دون وسائط بشرية ممثلة في فكر أفراد ، أو مفهومات فكرية مستخلصة منه بواسطة آخرين ، فكانوا خير دفاعاً ضد كل دعوة فكرية منحرفة ضد الإسلام<sup>(٣)</sup>

(١) إذ أنه قد ينعقد السبب التام ولا يقع مسببه إذ شاء الله عدم وقوعه، وذلك كما فعل في عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - حيث وجدت النار المحرقة ولكن أنعدمت المشيئة الإلهية وسلب سببيتها فانعدمت فاعليته وهذا الأمر يظل ما يلزم به الأشاعرة أهل السنة من أن أثبات التلازم بين الأسباب والمسببات يقضى إلى إنكار النبوات الثابتة بمعجزات الرسل (انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ج ١ ص ٥١٩-٥٢٠)

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتمويض المقادير لله ٢٥٢/٤

(٣) القضاء والقدر في الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقي ج ٢ ص ٢٩ تصرف

أولاً: أقرب من انتهجوا منهجهم أهل الحديث: - وعلى رأس أهل الحديث الإمام البخاري<sup>(١)</sup> حيث نجد موقفه لا يحيد عن القرآن الكريم وحقايقه المحكمة وسنة الرسول (ﷺ) قيد أنمله ، حيث رأى أن أثارة هذا السؤال إذا كان الله خالقاً لأفعالنا ، وكل أفعالنا بقضائه وقدره فكيف يحاسبنا عليها؟ ومحاولة الرد عليه يعنى الخوض في القدر وهذا ما نهى عنه الرسول (ﷺ) لذا نجده يقول: "ثبت موقف الصحابة والتابعين من هذه المشكلة بخاصة والمشاكل الكلامية بعامة بقوله: (وأهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الناقصة وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع فيما جاء فيه العلم وبينه رسول الله (ﷺ))"<sup>(٢)</sup> فنجد الإمام البخاري - هنا - يفرض العلم فيه إلى الله مثبتاً إيمانه بكل ما جاء في الكتاب والسنة بهذا الخصوص وهو أفضل من مثل فئة المفوضين.

ثانياً: موقف أبو حنيفة<sup>(٣)</sup> من القدر والحرية الإنسانية: - ومذهبه يتفق مع عقيدة الصحابة والتابعين ، حيث نجده وضع تفسيراً عاماً وشاملاً لموقف الإنسان الوجودى مستخلصاً من الكتاب والسنة ، حيث استعمل حقيقة إنسانية قرآنية ليحدد بها مفهوم الحرية الإنسانية ، وهى حقيقة الوجود السابق للبشر أفراداً في عالم الذر " أخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر، فجعلهم عقلاء فخطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً منهم يولدون على الفطرة"<sup>(٤)</sup> ومن ثم يجعل للاختيار البشرى أساساً غيبياً ،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري ولد في يوم الجمعة الرابع من شوال سنة أربع وتسعين وكات وفاته ليلة عيد الفطر السبت ١ شوال ٢٥٦هـ عند صلاة العشاء (سير أعلام النبلاء « الطبقة الرابعة عشر ج ١ ص ٣٩٢ )

(٢) خلق أفعال العباد ص ٩

(٣) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم بن ثعلبة يقال : إنه من أبناء الفرس ولد سنة ثمانين وتوفي في سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة (سير أعلام النبلاء « طبقة الخامسة » الجزء السادس ص ٣٩١)

(٤) شرح الفقه الأكبر للإمام أبو حنيفة الملا على القارى ص ٨٣ — ٨٤

ويحدد مفهوم هذا الاختيار بأنه إقدام الإنسان بإرادته على تغيير ما فطره الله عليه من الإيمان. أو السير على ما فطره عليه وتثبيته<sup>(١)</sup>.

وكما رفض أبو حنيفة مذهب الجبرية<sup>(٢)</sup> فإنه يرفض فكر منكرى القدر<sup>(٣)</sup> بإيمانه بأن كل شيء بقضاء الله وقدره حتى المعاصي وأفعالهم الاختيارية. فاتجاهه يتحدد بوضوح بقوله: "وإني أقول قولاً متوسطاً لا جبر ولا تفويض ولا تسليط، والله - تعالى - لا يكلف العباد بما لا يطيقون، ولا أراد منهم ما لا يعلمون، ولا عاتبهم بما لم يعملوا ولا سألهم عما لم يعلموا ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس به علم والله يعلم بما نحن فيه"<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: رأى بعض الفرق الكلامية المخالفين لما سبق :-

أ/ الجبرية<sup>(٥)</sup> :- يسجل لنا تاريخ الفكر البشرى في الإسلام ونشأته ظهور الجبرية كمذهب يفسر العلاقة بين الله والإنسان في أحضان التأويل العقلي لنصوص الوحيين - القرآن والسنة - الذى بدأ على يد الجعد بن درهم<sup>(٦)</sup> ثم أخذ عنه الجهم بن صفوان<sup>(٧)</sup> الذى نجد

١ ( المرجع السابق ص ٨٤ — ٨٥ )

٢ ( سيأتى توضيحه )

٣ ( سيأتى توضيحه فيما هو آت )

٤ ( أبو حنيفة للشيخ محمد أبوزهرة ص ١٧٩ ، وانظر أيضاً شرح الفقه الأكبر ص ٩٤ )

٥ والجبرهونفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى فطاعها ميتافيزيقى أو لاهوتى، والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلاً، كما تنفي عنه القدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة هى التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً (شفاء العليل ص ٢٧٤)، والقضاء والقدر في الإسلام د/فاروق الدسوقي ص ٨٠ ) فى حين أن الحتمية تقر مبدأ القانون العلمى وارتباط العلة بعملها (كتاب ديانات ومذاهب أهل العالم د/عصام الدين محمد على ص ٢٦١)

٦ ( هو مؤدب مروان الخمار هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله قال المدائني : كان زنديقا . وقد قال له وهب : بني لأطنك من الهالكين، لو لم ينجنا الله أن له بدا، وأن له عينا ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب (انظر: سير أعلام النبلاء الطبقة الرابعة الجزء الخامس ص ٤٣٣)

٧ ( جهم بن صفوان الراسبي : كاتب الحارث بن سريج، تلمذ للجعد بن درهم وقال عنه الذهبي: الضال المبتدع رأس الهرمية، أول من قال بالإجبار في الأعمال توفي (١٢٨ هـ) (الفرق بين الفرق للبغدادى ٢١١)



عنده أصلاً وبدء الطائفة المجبرة<sup>(١)</sup>. فالقول بالجبر لم ينشأ من خالص النظر في القرآن والسنة بالمنهج الصحابي وإنما نشأ نتيجة انتهاج الجهم ما ابتدعه من التأويل للآيات المتشابهة في القرآن<sup>(٢)</sup>.

ومعتقد الجهمية في أفعال العباد أن الإنسان بلا قدرة أو استطاعة ولا إرادة ، وإنما يخلق الله - تعالى - الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب الأفعال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال: زالت الشمس ودارت الرحي وأثمرت الشجرة وغير ذلك. فالإنسان مجبر على أفعاله ، وليس له استطاعة أصلاً<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي سامي النشار ط ٣٢٩

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ٥١٦ — ٥١٧ (وفي الحقيقة لقد اتخذت دولة معاوية وملوك بني مروان القول بالجبر منطقاً عقيدياً يبررون به أعمالهم السياسية، وركيزة لسلطانهم الرمنية بين الناس (انظر: المنية والأمل لابن المرتضى ص ٣ تصحيح نوماؤز نولد طبعة حيدرآباد ١٩٠٢ م) كما أن أعداء الإسلام لم يجدوا مجالاً خصباً من مجالات الإيمان وموضوعاته وحقائقه للتلبس على الناس فيه مثل ما وجدوا في مفهوم القضاء والقدر والمشية الإلهية ، حيث انطلقوا في هذه القضية إلى نتائج خاطئة متنافية مع حقائق القرآن والسنة التي هما وضع الله — تعالى — عن الناس أصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فإذا هم يصلون إلى نتائج مضللة مقيدة لإرادتهم، مانعة لهم من الأخذ بالأسباب، وإطلاق إرادتهم للعمل في الأرض في جميع المجالات الطبيعية والإنسانية التي رسمها وحدها لهم الإسلام. وقد استخدم هذا المعتقد الجبري من قبل البعض لأغراض وأهداف دينوية وخبيثة، فهي كلمة حق أرادوا بها باطلاً (انظر: مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٦) والاحتمال الغالب أن يكون ذلك بفعل اليهود، حيث أنهم أهل كتاب ويعرفون جذور مشكلة القدر لوجود الفرق الفكرية بسبب هذه المشكلة في تاريخهم)

(٣) راجع في ذلك مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ٣١٢، الملل والنحل لشهرستاني ج ١ ص ٨٧ والفرق بين الفرق لبغدادى ص ٢١١، والفصل في الملل والنحل ج ٣ ص ٢٢ لابن حزم الظاهري

وكان قول الجهم: "لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، لأن ذلك يقتضى تشبيها ، ففي كونه حياً عالماً واثبت كونه قادراً فاعلاً ، خالفاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق"<sup>(١)</sup>

وقد استدلوا بالآيات العامة التي تدل على أن الله - تعالى - هو خالق كل شيء لقوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَاعْبُدُوهُ﴾<sup>(٢)</sup> كما استدلوا - أيضاً - بآيات المشيئة العامة كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> والحق أن الألفاظ التي استعملها الجبرية - من أتباع جهم بن صفوان وغيره لا أصل لها في القرآن والسنة، لفظة: الجبر لا أصل لها في كلام الله ولا في كلام النبي (ﷺ) ولفظة: الإنسان مسير - أيضاً - لا أصل لها في القرآن ، ولا في السنة وفي هذا خلل كبير وجسيم<sup>(٥)</sup>

(١) الفصل جـ ٣ ص ٢٢-٢٣ (ومن الملاحظ أن جهم هذا كان يحمل السلاح ويقاثل السلطان وخرج مع الحارث بن سريج وكان كاتباً له في خرسان في آخر دولة بني أمية (تاريخ الطبري أحداث عام ١٢٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء السادس مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ م) ومن الواضح التعارض بين عقيدته وسلوكه، أو بين النظر عنده والتطبيق. فمن قال بالجبر الخالص كان أخرى به أن يكون مثلاً للرضى والطاعة لأولى الأمر، ولكل ما يحدث من أحداث أما وقد كان من الخارجين على السلطان بالسلاح والقائلين بالجبر في آن واحد فهو أساس التعارض.

(٢) الأنعام: ١٠٢

(٣) القصص: ٦٨

(٤) الإنسان: ٣٠

(٥) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للدكتور/عبدالرحمن بن صالح المحمود ص ٢٠٠، انظر أيضاً: شفاء العليل لابن القيم ص ٢٧٤

وقد روى الخلال بإسناده عن بقى بن مخلد قال: سألت الأوزاعي والزبيدي عن الجبر، فقال الزبيدي: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر ويقهر، ولكن يقضى ويقدر ويخلق ويجعل عبده على ما أحبه<sup>(١)</sup>، كما أن استدلال الجبرية بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي (ﷺ) يؤكد لنا تأكيداً جازماً أن سوء الفهم عن الله ورسوله (ﷺ) أصل كل بدعة وفتنة وضلال<sup>(٢)</sup>، فليس هناك علاقة بين آيات الخلق والمشيئة والإرادة التي استدلووا بها في حق الله تعالى وبين مذهبهم الفاسد الباطل، ويكفي في الرد عليهم عرض الأدلة القرآنية والسنية التي استند عليها المعتزلة في إثبات مذهبهم؛ لأنها مثبتة للفعل والمشيئة والإرادة في حق العبد<sup>(٣)</sup>

كما أن قولهم هذا يؤدي حتماً إلى إسقاط مغزى التكليف، وبالتالي انزال الرسل والكتب، وسقوط قاعدة الثواب والعقاب، وكثير من الحقائق الإيمانية التي تعد من قبيل المعلوم من الدين بالضرورة لتوافر وتواتر أدلتها النصية والسنية، حيث تعد من ثوابت الدين وأركانه.

ب/ رأى المعتزلة القدرية<sup>(٤)</sup>:- حيث غالت في الإيمان بالتكليف، حتى طعن في القدر، وأنه تعالى خالق لكل شيء، ومن ذلك أفعال العباد وقدمت لهذه النتيجة مقدمات متعددة من

(١) السنة للخلال ٥٥٥/٣ ط الراية

(٢) انظر: الروح لابن القيم ص ٦٣

(٣) راجع في ذلك الكهف: ٢٩، الفرقان: ٥٧، المدثر: ٣٦-٣٧

(٤) والمقصود بالكلام في القدر في بداية الأمر إنما هو نفي القدر، هذا هو المشهور من الأقوال في بداية القول بالقدر (راجع مسلم ٨) وهناك قولان آخران أحدهما: أن أول ما حدث القول بالقدر بالحجاز قبل معبد الجهمي، وأن ذلك وقع لما احترقت الكعبة لما كان عبدالله بن الزبير محصوراً بمكة، فقال أناس: احترقت بقدر الله، وقال أناس لم تحترق بقدر الله (انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٧). والقول الآخر: أن أول من نادى بالقدر في الشام عمرو القصاص وكان معلماً لمعاوية الثاني، فأثرفه كثيراً، فأعنت أقواله في القدر وهذا القول ضعيف لأن معاوية بن يزيد كان رجلاً صالحاً وعمرو القصاص هذا لم يذكر قصته من المؤرخين غير ابن العبري (انظر: القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود ١٦٦) وهذا المسمى - القدرية - مجوس الأمه - قد رمت به المعتزلة فرقة الجبرية وأخذوا في سياق الأدلة على ذلك (شرح الأصول الخمسة ص ٧٧٣).

تعليل أفعال الله - تعالى - بالحكمة ، واستحالة الظلم عليه ، وتحسين الأشياء وتقييحها بالعقل ، كل ذلك كان بمثابة الأدلة التي أرادت بها أن تدعم موقفها من نفي هذه المرتبة من مراتب القدر المتعلقة بأفعال العباد<sup>(١)</sup> .

وقد اعتمدت فيما ذهبت إليه على عدم إمكان وجود فعل بقدرتين<sup>(٢)</sup> ، وارجعت الفعل إلى قدرة العبد على جهة الاستقلال ، استناداً إلى الضرورة العقلية التي تشهد بأن الفعل صادر عن إرادة الإنسان.

يقول في ذلك القاضي عبد الجبار<sup>(٣)</sup> إن هذه التصرفات يجب وقوعها بحسب مقصودنا ودواعينا ، ويجب انتفاؤها بحسب كراهتنا وصوارفنا مع سلامة الأحوال إما محققاً وإما مقدراً ، فلولا أنها محتاجة إلينا ومتعلقة بنا وإلا لما وجب ذلك فيها ، لأن هذه الطريقة تثبت احتياج الشيء إلى غيره ، كما يعلم احتياج المتحرك إلى الحركة والساكن إلى السكون ، وهذه هي الأدلة المعتمدة<sup>(٤)</sup>

كما نجده يقول -أيضاً- في موضع آخر مؤكداً الحكمة لله -تعالى- واستحالة الظلم عليه "ما يدل على أنه لا يجوز أن يكون خالقاً لأفعال العباد، هو أن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان الله كذلك -تعالى عن ذلك علواً كبيراً- لصح اتصافه بالظلم"<sup>(٥)</sup>

(١) راجع في ذلك : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٣٣٧ وما بعدها

(٢) راجع في ذلك : المغنى في أبواب التوحيد والعدل ج ٤ ص ٢٥٤ وما بعدها

(٣) عبد الجبار بن أحمد القاضي الهمداني ، ولد حوالي ٣٢٠ هـ برع في الفقه والحديث وانتحل مذهب الأشاعرة فترة ، ثم انتقل إلى الاعتزال ، ومن مؤلفاته تفسير القرآن ، ودلائل النبوة ، وشرح الأصول الخمسة وغيرها توفي بالرى عام ٤١٥ هـ (الاعلام ج ٣/ ٢٧٣)

(٤) شرح الأصول الخمسة ص ٣٣٧

(٥) المرجع السابق ٣٣٦

كما يقول: "فلو كان الجور وما شاكلته من خلقه، لوجب الرضى به والإجماع يبطل ذلك" <sup>(١)</sup> ولهذا نسب المعتزلة خلق الجور للإنسان كما كان قولهم: "أن في القول بخلق الأفعال طعنا في جانب التكليف ، المتمثل بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب بمافيها من أوامر ونواه ، حتى يؤدي ذلك إلى نسبة العبث المنافي لتمام الحكمة والعدل للرب تعالى" <sup>(٢)</sup>

وفي الواقع أن كل إنسان يعلم أن له مشيئة، وقدرة يفعل بها ويترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش <sup>(٣)</sup>، لكن مشيئته وقدرته واقعتان بمشيئة الله وقدرته، لقوله تعالى {لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} <sup>(٤)</sup> وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ { <sup>(٥)</sup>

وتوضح ذلك كما يقول ابن السعدي <sup>(٥)</sup>: "أن العبد إذا صلى وصام وعمل الخير أو عمل شيئا من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح أو السيء. وفعله المذكور - بلا ريب - واقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور وأنه لو شاء لم يفعل. وكما أن هذا هو الواقع ، فهو الذي نص الله عليه في كتابه... ومع ذلك يقال إذا كانت واقعة منهم ، كيف تكون داخلة في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة ؟ فيقال: الذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال فهذا الذي يحل الإشكال ، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار ومع ذلك فهو - تعالى - أمد المؤمنين بأسباب ، وألطف وإعانات

١ ( المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار المجلد الأول ص ٢٠٤ )

٢ ( انظر: المغنى في أبواب التوحيد والعدل لعبد الجبار ج ٢ ص ٣٤٠ )

٣ ( انظر: منهاج السنة لابن تيمية ج ٣ ص ١٠٩ — ١١٢ )

٤ ( التكوير: ٢٨ — ٢٩ )

٥ ( هو العلامة المحقق أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدى التميمي ، ولد في عتيرة في القصيم ١٣٠٧ هـ — وتوفي ١٣٧٦ هـ — ترك مصنفات منها: تفسيره ، والقواعد الحسان والفتاوى وغيرها ) انظر: الشيخ عبد الرحمن السعدى مفسر للشيخ عبد الله بن سابع الطيار

متنوعة وصرف عنهم الموانع ، كما قال: "وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة"<sup>(١)</sup> وكذلك خذل الفاسقين ، ووكلمهم إلى أنفسهم ، لأنهم لم يؤمنوا به ، ولم يتوكلوا عليه<sup>(٢)</sup>

- كما أن ما ذهب إليه المعتزلة بعدم خلق الله لأفعال الجور والمعاصي ونسبتها إلى العباد ، هي مغالطة كبيرة وموطن مذلة قدم لكثيرين<sup>(٣)</sup> ولا مخرج منه إلا بالتفريق بين قدر الله الذي هو فعله وبين مقدوره الذي هو مفعوله ، ومفعوله له تعلقات بأفعال البشر من ناحية الاختيار وغيره ، وفي مفعولاته و مقدوراته تدخل الشرور والنواقص وغيرها. وهي من جهة الله كلها خير وحكمة. وينظر إليها من جهة البشر على أنها نقص<sup>(٤)</sup>

أما الذين قالوا بالتفريق بين الفعل والمفعول قد انجلت المشكلة لديهم ويترتب على هذا التفريق كما قال ابن تيمية: "فإنه يقال الكذب ، والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له ، كما يفعلها العبد وتقوم به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره ، كما أنه - سبحانه - لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان..... وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به ، لا على الخالق الذي خلقها فعلاً لغيره"<sup>(٥)</sup>

ومن هنا نعلم الخطأ الواضح الذي وقعت بسببه المعتزلة في نسبة بعض الخلق لغير الله - تعالى - فراراً أن يكون صفة لله وفعلاً له ، ولو أنهم ارتضوا التفريق بين الفعل والمفعول ،

( ١ ) سبق تخريجه

( ٢ ) التنبيهات اللطيفة ٨٢-٨٣ ، وانظر أيضاً - لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ٢٢

( ٣ ) وفي الحقيقة ما كان هذا إلا من جراء قياسهم الغائب على الشاهد حيث ذهبوا إلى أنه ماثبت في الشاهد وجب ثبوته في الغائب (انظر: المطالب العالية ج ٣ ص ٣٤١ وما بعدها)

( ٤ ) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣

( ٥ ) مجموع الفتاوى ١٢٣/٨ ، وانظر أيضاً: شرح العقيدة السفارينية ص ٣٦٧

وجعلوا المكروهات من مفعولاته ، وهى منفصله عنه وما كان من مفعولاته فإنه ليس وصفاً له ولا يقوم به لكان الأمر يسيراً ، ولكنهم عطلوا فاعليته وجعلوا الخلق قادرين على أن يخلقوا ما لا يستطيعه إلا الله سبحانه<sup>(١)</sup>

- كما أن علماء السنة قد فرقوا بين معنى القضاء والمقضي من باب رد ما وقع فيه المعتزلة من تحبط فقالوا: "هنا أمران قضاء الله ، وهو فعل قائم بذات الله تعالى ، ومقضي وهو المفعول المنفصل عنه ، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة ، ونرضى به كله والمقضي قسمان: منه ما يرضى به، ومنه لا يرضى به"<sup>(٢)</sup>

ج/ رأى الأشاعرة :-

لقد ذهب الأشاعرة إلى القول "بالنظرية الكسبية" محاولةً للجمع بين الاتجاهين السابقين والبحث عن الوسطية في الأمر. ولو أخذنا في استعراض آراء الأشاعرة في الكسب<sup>(٣)</sup> سيتصدر الأمر ما ذهب إليه الأشعرى من التفرقة بين أفعال العبد الاضطرارية والاختيارية

١ ( وقد زعم بعض المستشرقين والباحثين أن ثمة علاقة بين رأى المعتزلة في هذه المسألة والتفكير الديني المسيحي والفلسفة اليونانية من هؤلاء دى بور (تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٤٩ ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبوريده لجنة التأليف والترجمة ط الرابعة ١٩٥٧م، وصحى الإسلام لأحمد أمين ج ١ ص ٣٦٤) وإن كنت اميل إلى ما رجحه أ.د/ حامد الخولي أن المعتزلة قد استمدوا وجهة نظرهم من القرآن الكريم الذى يحتوى على كثير من الآيات التي يقرر ظاهرها حرية الإنسان . وأكدوا في ضوءها الآيات التي يوحى ظاهرها بالقول بالجبر، ولم يتأثروا في ذلك بأى مصدر خارجي عن الإسلام اللهم إلا أن تكون تلك المصادر الخارجة عن الإسلام ساهمت في مجرد الالتفات إلى هذه المسألة لاتخاذ موقف معين منها هو نفى القدر والاعتداد بحرية الارادة الإنسانية (قضية الألوهية عند المتكلمين).

٢ ( شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٨، وانظر أيضاً:، وشرح المقاصد للفتاوى ج ٤ ص ٢٧٨

٣ ( والكسب هو الفعل المنفضى إلى اجتناب نفع أو دفع ضرر ولا يوصف فعل الله تعالى بأنه كسب (التعريفات لجرحاني حرف الكاف ص ١٨٤)

، وبناء عليه فقد عرف (المكتسب) أى الفعل بأنه هو (المقدور بالقدرة الحادثة) أى: الفعل هو ما يفعله المرء بقدرته المخلوقة له<sup>(١)</sup>

ثم عاد وقرر: إنه لا تأثير للقدرة الحادثة في إحداث الفعل ، والله - سبحانه - أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة - أى المخلوقة للعبد - أو تحتها أو معها. الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ، وسمى هذا الفعل كسباً<sup>(٢)</sup> . فالمراد بكسبه إذن: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له. فالفعل في نظرية الكسب فعل الله تعالى، وقدرة العبد ما هي إلا سبب اقترانى يوجد الفعل عنده لا به<sup>(٣)</sup>

وقد نقل عن القاضي أبى بكر الباقلانى<sup>(٤)</sup> أنه مع تقريره أن القدرة التي يخلقها الله للعبد لا دخل لها في إيجاد الفعل ، إلا أن كون الفعل حاصلًا بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة تسمى ذلك كسباً<sup>(٥)</sup>

ونقل عن أبى اسحاق الاسفراينى<sup>(٦)</sup> أنه ذهب إلى أن المؤثر في الفعل هو مجموع قدرتي الله والإنسان<sup>(٧)</sup>

(١) انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعرى ص ٦٩ وما بعدها

(٢) انظر الإبانة عن أصول الديانة للأشعرى ص ٢٤ — ٢٥ وما بعدها تحقيق د/فوقية حسين

(٣) انظر: شفاء العليل ص ٢٦٠ (وهذا يتناسب مع معتقدهم في نظرية السببية)

(٤) محمد بن الطيب أبوبكر القاضي المعروف بالباقلانى، من كبار متكلمي الأشاعرة، كان يثبت كثير من الصفات التي نفاها متأخرو الأشاعرة، ولد في البصرة عام ٣٣٨هـ — وتوفي ٤٠٣هـ، من مؤلفاته الإنصاف والتمهيد، وإعجاز القرآن، والدلائل (انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٠، والأعلام ١٧٦)

(٥) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلانى ص ٧٠ — ٧١

(٦) هو الأستاذ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراينى الملقب بركن الدين توفي يوم عاشوراء عام ٤١٨هـ، وهو الفقيه الشافعى المتكلم الأصولى (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان

ج ١ ص ٥)

(٧) انظر: المواقف للإيجي ص ٣١٢



وأخذ بهذا القول - أيضاً - الإمام الغزالي إذ يقول: "المذهب الحق هو أن المؤثر مجموع القدرتين، قدرة الله وقدرة العباد، فالأفعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء الله وقدره ولكن للعباد اختيار فالتقدير من الله والكسب من العباد<sup>(١)</sup>

وقد آثر عن أمام الحرمين<sup>(٢)</sup> في هذه المسألة قولان: الأول يوافق فيه أبا الحسن الأشعري في أن قدرة الإنسان لا تأثير لها في الفعل<sup>(٣)</sup> بينما نراه في موضع آخر يقرر أن الفعل يقع بتأثير قدرة الإنسان وبمعرفة الدواعي والأسباب الخارجية التي يهيئها الله - تعالى - لإتمام هذا الفعل ، ومع هذا لا يخرج الفعل عن تقدير الله ، لأن الله هو خالق قدرة الإنسان ومهيأ أسباب إنجازها للفعل<sup>(٤)</sup> إلى أن ينتهي إلى أن الكسب أسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى ، كما لم يرتض مذهب الاسفراييني لأنه يؤول إلى الشرك<sup>(٥)</sup>

من خلال عرض أقوال طائفة من كبار منظري المذهب الأشعري تبين بوضوح أن نظرية الكسب كانت محل اختلاف عند أصحاب المذهب ، يؤكد ذلك صاحب كتاب مذاهب الإسلاميين إذ يقول: "يظهر أن موقف أبي الحسن الأشعري لا يمكن قبوله ولا بد من تعديله ، فعدله الباقلاني ، بأن أثبت للقدرة الإنسانية تأثيراً ، هو حال به يتصف صاحب القدرة بكسبه لهذا الفعل ، وجعل هذا الحال هي التي ينالها العقاب والثواب، لكن الجويني رأى أن هذا غير معقول ، ويساوى نفي التأثير الذي قال به الأشعري ، ولهذا خطأ خطوة

(١) انظر: الأربعين ص ١٣

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف فقيه شافعي وملقب بضياء الدين ومعروف بأمام الحرمين ولد عام ٤١٩ هـ وتوفي ٤٧٨ هـ (سبرأعلام النبلاء للذهبي الجزء ٨ ص ٦٨)

(٣) انظر: الإرشاد ص ١٩٨

(٤) انظر: العقيدة النظامية ص ٤٨ وما بعدها

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٤٥

أبعد فأقر قيام نسبة حقيقية بين فعل العبد وبين قدرته ، لكن في غير أمور الإحداث والخلق ، وهذه النسبة تطرد من فعل إلى سببه باستمرار حتى نصل إلى مسبب الأسباب ، أى الله تعالى<sup>(١)</sup>

فخلاصة قول الأشاعرة في أفعال العباد ، كونه سبحانه خالقاً لها على جهة الفاعلية والتأثير من حيث كونه قديماً متقدماً عليها في الوجود

**الجبر لدى غلاة الفكر الصوفي:** - يستخدم غلاة الصوفية عبارات فيها إطلاق مسمى الحقيقة على القدر الحاصل بما فيه من خير وشر، ويقعون في التجاوزات نتيجة لذلك ، فعندهم: "أنه ليس في مشهدهم لله محبوب مرضى مراد إلا ما يقع ، فما وقع فالله يحبه ويرضاه ، وما لم يقع فالله لا يحبه ويرضاه ، والواقع يتبع القدر لمشيئه الله وقدرته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.<sup>(٢)</sup> وعلى هذا فإبليس وجميع الكفار والملاحدة والعصاة مطيعون لله ، لموافقتهم للقدر، وكل ما قضاه وقدره فهو محبوب له ، مرضى عنه ، فإذا كان قد خالف أمر الشرع فقد أطاع إرادة الله ونفذ مشيئته ، فمن أطاع الله وقضاه وقدره كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله<sup>(٣)</sup> .

يقول صاحب الفتوحات المكية في الشقى الذى صدرت عنه مخالفات في الحياة الدنيا أنها عند انكشاف الحقائق في الآخرة يظهر حسناتها وحسن جميع الأعمال كلها ، حيث

(١) عبدالرحمن بدوى ص ٥٦٠-٥٦١

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ص ١٩٤-١٩٦ ، ومدارج السالكين ج ٢ ص ١٤١ وما بعدها ، ورسالة الاحتجاج بالقدر ٨٠-٨١ (فالاستسلام الذى تدعوا إليه غلاة الصوفية ليس هو الاستسلام المطلوب منا ، فالمتطلب هو الاستسلام لتدبير الله لنا ، وهذا في غير ما أمر ونهى بل فيما يفعله بنا لافئنا أمرنا بفعله)

(٣) انظر: شفاء العليل لابن القيم ص ٦-٧ ، ونظرات في معتقد ابن عربي د/كمال عيسى ص ٤٢-٤٤ ، وهذه

هى الصوفية لعبدالرحمن الوكيل ص ٤٣

ينكشف له في ذلكم اليوم أن العامل لها هو الله تعالى ، لا غيره ، فهي أعماله تعالى ، وأعماله كلها كاملة الحسن لانقص فيها ولا قبح ، فكل أمر من حركة وسكون ، وسكنة وفعل وكلام في هذا الوجود هو من الله تعالى ، إذ هو عين ذوات العالم التي قامت بها هذه الحركات والسكنات والأفعال والأقوال تبعاً لمعتقدهم الرامى إلى القول بوحده الوجود<sup>(١)</sup>

**الرد عليهم:** حقيقة ما تكلم فيه هؤلاء الغلاة المتصوفة من عذر الخلق بفعل الرب هو الاحتجاج بالقدر على معصيته تعالى ، وقد علق عليهم ابن تيمية قائلاً فقال: "وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبية تعالى لكل شيء ، ويجعلون ذلك مانعاً من اتباع أمره الدينى الشرعى على مراتب في الضلال. فغلاقم يجعلون ذلك مطلقاً عامماً ، فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة ، وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضاً... حيث يقال له إن كان القدر حجة، فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك ، وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك حجة. ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة، فيزعمون أن الأمر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلاً وأثبت له صنعاً ، أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور، وأن الله متصرف فيه.... فإنه يرتفع عنه الأمر والنهى والوعد والوعيد.... وهذه المقالات هى محاده لله ورسوله ومعاده له ، وصد عن سبيله ، وتكذيب لرسله، ومضادة له في حكمه"<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: الفتوحات المكية جـ ٣ ص ٤٠٣

(٢) الأنعام: ١٤٨

(٣) الاستقامة لابن تيمية جـ ٣ ص ٢٤ - ٢٥ وانظر: تفسير الآيه في جامع البيان المجلد الخامس ص ٤٣٢

**الشيعة وأفعال العباد:** - خلاصة أقوالهم أن متقدميهم منهم من يوافق أهل السنة، ومنهم من يوافق المعتزلة، أما متأخروهم فأغلبهم معتزلة سواء كانوا رافضة<sup>(١)</sup> أو زيدية<sup>(٢)</sup>.

يؤكد ذلك الشيخ المفيد<sup>(٣)</sup> إذ يقول: "إن الخلق يفعلون، ويحدثون، ويخترعون ويصنعون، ويكتسبون، ولا اطلق عليهم القول بأنهم يخلقون، ولا لها خالقون وعلى هذا القول إجماع الإمامية والزيدية، والبغداديين من المعتزلة والمرجئة وأصحاب الحديث<sup>(٤)</sup>"

ويقول صاحب العقائد الإمامية: "واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار، وأن الأمر بين الأمرين والطريق الوسط بين القولين، الذي يعجز عن فهمه أمثال أولئك

(١) هي إحدى الفرق التي تدعى التشيع لآل البيت، مع السراة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وسائر أصحاب النبي إلا القليل منهم ويرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية عليهم: هو رفضهم زيد بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، في سنة إحدى وعشرون ومائة وفي ذلك قال بن تيمية: "وإنما سموا رافضة وصاروا رافضة بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين ونكفروهم لهم وسبهم إياهم وقد خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام فسأله الشيعة عن أبي بكر وعمر فترحم عليهم فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني، فسموا رافضة (منهاج السنة النبوية ٣٤/١ - ٣٥، وانظر أيضاً حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول د/محمد جابر عبد العال الحيني ص ٦٤ وما بعدها، والدين الخالص لمحمد صديق حسن ج ٣ ص ٣٨٣)

(٢) هم اتباع زيد بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم - وهم القائلين بجواز أمامه أبي بكر وعمر على أساس قاعدتهم التي تقرر جواز أمامة المفضل في وجود الأفضل (انظر: موسوعة الفرق الإسلامية بحبي هاشم فرغل ص ٧٢، والمثل والمحل للشهرستاني ص ١٣٨)

(٣) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكري البغدادي، يعرف بابن المعلم ويلقب بالمفيد محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الإمامية في عهده ولد سنة ٣٣٦هـ - وتوفي ٤١٣هـ - (انظر: الأعلام ٢٤٥/٧)

(٤) أوائل المقالات في المذاهب المختارات ص ٦٤ - ٦٥

المجادلين من أهل الكلام ففرط منهم أقوام ، وأفرط آخرون... فقد قال إمامنا الصادق لبيان الطريق الوسط لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين.... فأفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية وهي تحت قدرتنا واختيارنا ، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله وداخله في سلطانه<sup>(١)</sup> "أما الزيدية" فهم - في الغالب - معترلة حيث يقول أحد أئمتهم فإن قيل: هل ربك خلق أفعال العباد ؛ فقل: لا يقول ذلك إلا أهل الضلال والعناد<sup>(٢)</sup> .

فالشيعية - عموماً - فيهم من يقول بقول أهل السنة وإن كانوا في الغالب على مذهب المعتزلة ، وهذا يكثر في الرافضة والزيدية خاصة المتأخرين منهم<sup>(٣)</sup>

وفي نهاية المطاف: - اتضح أن أساس الضلال الحاصل في الأمور المتعلقة بالقدر، اعتقاد أن هناك تناقضاً بين الشرع والقدر، وعليه فالواجب - أولاً - بيان انتفاء التناقض بينهما ، وأنه لا يلزم لإثبات القدر القدح في الشرع ، كما فعلت الجبرية ، ولا يلزم لإثبات الشرع القدح في القدر ، كما فعلت القدرية ، وأن التسليم بكليهما يقتضى عدم الميل بأحدهما عما يجب فيه ، لذا كان المنهج الصحيح هو التوسط وعدم ضرب نصوص التشريع بعضها ببعض ، بل الإيمان بأن: "أدلة الجبرية متضافرة صحيحة على من نفي قدرة الرب على شيء من الأعيان والأفعال ، وعموم مشيئته وخلقه لكل موجود ، وأدلة القدرية متضافرة صحيحة على من نفي فعل العبد وقدرته ومشيئته واختياره وقال: إنه ليس بفاعل شيئاً ، والله يعاقبه على ما لم يفعله ، ولا قدرة له عليه بل هو مضطر إليه مجبور عليه<sup>(٤)</sup> . وهذا من

(١) محمد رضا المظفر ص ٦٧-٦٨

(٢) انظر: العقد الثمين في معرفة رب العالمين للأئمة الحسين بن بدر الدين محمد بن يحيى عالم الزيدية ص ٣٧-٣٨

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الأئمة عشرية عرض ونقد د/ناصر القفاري ٢/٦٣٨-٦٤٧ ، والتبعية والسنة للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٦٣: ٦٦

(٤) شفاء العليل لابن القيم ص ١١٣

شأنه يحل معضلة كون الإنسان مخيراً أم مسيراً ، والحق وسط بين القولين فيقال: إن الإنسان مخير باعتبار ومسير باعتبار، فهو مخير باعتبار أن له مشيئة يختارها ، وقدرة يفعل بها لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ <sup>(٢)</sup> ولقول الرسول ﷺ "أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" <sup>(٣)</sup> وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر، راجع إليه، لكونه لا يخرج عما قدره الله له ، فلا يخرج في اختياره عن قدرة الله، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ <sup>(٥)</sup> ولقول الرسول ﷺ "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" <sup>(٦)</sup>

ولهذا جمع الله بين هذين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ <sup>(٧)</sup> وما تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ <sup>(٨)</sup> فأثبت ﷺ بأن للعبد مشيئة، وبين أن مشيئته تابعة لمشيئة الله واقعة بها.

وكذلك الرسول ﷺ في قوله: "ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله: فيم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال: لا تعملوا فكل ميسر لما خلق له" <sup>(٩)</sup> فهذا

(١) الكهف: ٢٩

(٢) البلد: ١٠

(٣) مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤)

(٤) يونس: ٢٢

(٥) القصص: ٦٨

(٦) مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣)

(٧) التكوين: ٢٨، ٢٩

(٨) مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كيفية خلق الأدمى في بطن أمه (٢٦٤٧)

الحديث به دلالة واضحة على أن الإنسان مخير لقوله: "اعملوا" وعلى أنه لا يخرج في تخيره عن قدر الله لقوله: "فكل ميسر لما خلق له"<sup>(١)</sup>

إذن: فالتقدير المشار إليه غير منافي لحرية الإنسان واختياره ، لأن لحظة الاختيار لحظة وجودية تنبع من ذات العبد المريدة المختارة ، كما أن نتائج التسجيل غيب عن علم العبد ، فهو يعمل بلا شعور أو وعى بمن حوله من الملائكة أو سجلائهم ، فهم لا يتدخلون في اختياره توجيهاً أو عدماً ، ولكن معنى التقدير السابق الإلهي لفعل العبد الحر وتسجيل ذلك أن الله ﷻ قدر على العبد في يوم كذا ابتلاءه بكذا ، فهذا قدر له أو عليه. كما قدر سبحانه بعلمه أن العبد هذا سيختار هذا الفعل قبيحاً كان أم حسناً ، فهذا تقدير الله - سبحانه - لما سيحدث من العبد ، أى أنه قدر منه فالقدر بالنسبة للإنسان: قدر له وقدر عليه وهذان جبريان ، وقدر منه وهذا اختياري<sup>(٢)</sup>

وفي نهاية عرض هذه المسألة نكون قد وصلنا إلى حقيقة هامة ألا وهى: إن للإنسان مشيئة يختار بها وقدرة يفعل بها ، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله ، واقعتان بها. وإن على العبد أن يسعى في مصالحه الدنيوية ، ويأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة ، فإذا حصل على مراده حمد الله على توفيقه لذلك ، وإن أتت الأمور على خلاف مراده تعزى بقدره وراجع نفسه فيما اخفق فيه من الأسباب ، وطلب العون من الله<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر في ذلك: دفع إيهام الاضطراب للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص ٢٨٦-٢٨٧

(٢) القضاء والقدر في الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقي ص ٣٩٠-٣٩٢ بتصرف واختصار

(٣) انظر المزيد في هذا الشأن في كتاب القضاء والقدر للشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٩- ، ومسألة

القضاء والقدر لعبد الحليم قنيس وخالد العك ص ١١٥-١٥٠

## المبحث الثالث : العلاقة بين الدعاء والقضاء

### المطلب الأول : عقيدة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء

الحق إن الخلاف في الدعاء كما يقول محمد رشيد رضا <sup>(١)</sup> أقوى من الخلاف في الكرامات ، فمسألة الكرامات ليست من أصول الدين ولا من فروعها ، ولا يوجد في الكتاب والسنة دليل على طلب حصولها ، ولا على مطالبة الناس بالإيمان بها ، وأما الدعاء فهو مطلوب بلا خلاف ، ومحل الخلاف في نفع الدعاء لا في استجابته ، خاصة وأنه لم يقل أحد أئمة المسلمين بأن الدعاء يستجاب حتماً ولا أن الأصل أو الأكثر أنه يستجاب ، ولكنهم قالوا إن الدعاء ينفع سواء استجاب أم لم يستجب <sup>(٢)</sup> .

حيث كان قولهم أن هناك من يستهين بشأن الدعاء ويرى أنه لا داعي له ولا جدوى من ورائه ، طالما أن الله ﷻ يعلم حاجة العبد ، وأنه لن يصيب العبد إلا ما قدر له . وربما قال قائلهم لا حاجة لنا بالدعاء إذا نزل البلاء وهذا القول قول باطل ؛ لأنه مناف للإيمان بالقدر، وتعطيل الأسباب وترك لعبادة هي أكرم العبادات على الله ﷻ ، فالدعاء أمره عظيم ، وشأنه جليل ، به يرد القضاء ، وبه يرفع البلاء ، فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل <sup>(٣)</sup> ؛ لذا أخذوا في بيان الأدلة العديدة والمتنوعة الموضحة والمثبتة لهذا المعتقد ، وعلى رأسها

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ولد ٢٣ سبتمبر ١٨٦٥م في قرية "القلمون لبنان وتوفي بمصر ١٩٣٥). (انظر: إبراهيم العدوي، رشيد رضا الإمام المجاهد، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة وصلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، القاهرة : مركز الحضارة العربية، ٢٠٠١م)

(٢) مجلة المنار المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل (النوع الحادي عشر: استجابة الدعاء ٤٠٦/٦)

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ٣٦ — ٣٧



الأدلة القرآنية باعتبارها الحق في ذاته في هذه القضية ؛ لكونها كلام الله تعالى ، وحتى تكون النتائج التي يتوصلون إليها بمثابة الميزان الذي توزن به نتائج الفرق وآرائها، لأن التضارب قائم في فكر الفرق كما رأينا ، وليس في كلام الله تحقيقاً لقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> وأدلتهم كما يلي: -

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم: -

الأدلة القرآنية وتنوعها في هذا الشأن تنقسم إلى خمسة أنواع ألا وهي: -

١- النوع الأول: - هي المتمثلة في الآيات الآمرة بالدعاء ، وكل أمر من الله - تعالى - للعباد يحظون بالثواب عليه إذا التزموا به وعملوا بمقتضاه ، ويتعرضون للمسائلة والعقاب عليه إذا أخلوا به وتجنبوا مزاولته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> وإن اختلف المفسرون في المقصود بالدعاء هنا ، حيث رجع البعض أنه العبادة <sup>(٤)</sup> وقيل هو الذكر والدعاء والسؤال . أى فسر على ظاهر اللفظ ، ويكون المعنى استجب لكم إن شئتم <sup>(٥)</sup> كما

(١) النساء: ٨٢

(٢) البقرة: ١٨٦

(٣) غافر: ٦٠

(٤) راجع تفسير الطبري لمسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جريير الطبري المجلد الثاني ١٦٦-١٦٧

(٥) انظر: تفسير القرآن احكيم الشهير بتفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا ج ٢ ص ١٦٩، والمرجع السابق نفس الصفحة

في قوله: ﴿بَلِّغُوا نَذْرَكُمْ فَيَكْشِفَ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ <sup>(١)</sup> وهذا القول هو المعول إليه لدى أهل السنة والجماعة هنا.

٢- النوع الثاني: - هي الآيات المشيرة إلى غضب الله - تعالى - على من ترك الدعاء ، وغضبه - تعالى - دليل واضح على حبه لاستنجااد عباده به ، وهذا مستلزم لرضاه المستلزم من جهة أخرى لإجابة الداعي وتحقيق مبتغاه ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ <sup>(٣)</sup>

٣- النوع الثالث: - الأدعية التي لم ينسبها القرآن الكريم لأحد ، والتي تعتبر نماذج إلهية للدعاء ، ساقها الله تعالى لتكون خير قدوة يقتدى بها البشر في صياغة أدعيتهم. ولعل الحكمة الإلهية من هذه القدوة هو قبول ما قدموا من دعاء واستجابته ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَفَدِينَا صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله عز من قائل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن شِئْنَا أَوْ آخِطَأْنَا﴾ <sup>(٥)</sup>

٤- النوع الرابع: - الآيات القرآنية التي نصت صراحة على استجابة الله - تعالى - لمن دعاه من سائر الخلق، وهذه الاستجابة دليل واضح على وفاء الله - سبحانه - بوعده في الاستجابة لمن دعاه، حيث استجاب للخليل إبراهيم - عليه السلام - حينما قال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ

(١) الأنعام: ٤١

(٢) الأنعام: ٤٣

(٣) المؤمنون: ٧٦

(٤) الفاتحة: ٦

(٥) البقرة: ٢٨٦

رَسُولًا مِنْهُمْ <sup>(١)</sup> كما استجاب لموسى الكليم - عليه السلام حينما قال: ﴿رَبَّنَا أَطِيسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> واستجاب لجند طالوت حينما قال: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ <sup>(٣)</sup>

٥- النوع الخامس: الآيات القرآنية التي وضعت مواصفات وشروط لقبول الأدعية ، ولا يتأتى هذا الاهتمام بالدعاء إلا إذا كان ذو نفع وأثر، وكانت الإجابة جديرة بالتنفيذ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ <sup>(٥)</sup>.

فهذه الأنواع الخمسة دالة بوضوح على نفع الدعاء ، كما تدل على أن الله - تعالى - لا يخلف وعده الذى قطعه في قرآنه المجيد من استجابته - تعالى - لمن رفع إليه أكف الضراعة مستنجداً وسائلاً <sup>(٦)</sup>

- كما أن عمدة الآيات القرآنية التي تدل دلالة واضحة على كون الأقدار تنزل على البشر بناء على اختيارهم وأدعيتهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(١)</sup> ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ <sup>(٢)</sup> وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا

(١) البقرة: ١٢٩

(٢) يونس: ٨٨

(٣) البقرة: ٢٥٠

(٤) الأعراف: ٥٥

(٥) الأعراف: ٥٦

(٦) انظر: المزيد من هذه الآيات في المبحث الأول أدلة الدعاء من القرآن الكريم

وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابَانِ مَّقَاطِعَهُ لِيَكْفُرَهُ لِيُدْخِلَهُ أَمْثَلًا فَخَرَجْنَا بِهِ مِّنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ يُخْرِجُ الْمَوْقِفُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُهُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

وما يمكن استنباطه من الآيات الكريمة أن الأحداث الطبيعية والبشرية التي تنزل جبراً من السماء إلى الأرض إنما تنزل بأمر الله بناء على أفعال الناس الاختيارية ، وما أثبتته هذه الآيات كشاهد على ذلك هو أن الأحداث الطبيعية كالطر والينبات إنما يفعلها الله - سبحانه - فعلاً مباشراً بالعلل الفيزيائية والغيبية ، وذلك حسب أقدار مقدرة قبل الخلق بناء على اختيارات الناس وأفعالهم المقدرة أيضاً ، فالطيون يخرج لهم نباتاً طيباً ، ومن هم بخلاف ذلك لا يخرج إلا نكداً.

وعمدة هذه الحقيقة القرآنية قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا يَأْتُسِيهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَآلٍ﴾ (١) وقوله تعالى فيما يقصه علينا من قول نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَافَاءً﴾ (٢) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (٣) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (٤) هكذا نجد العلة الحقيقية في نزول المطر والثراء وكثرة الأولاد

(١) الأعراف: ٥٤ — ٥٨

(٢) الرعد: ١١

(٣) نوح: ١٠ - ١٢

الاستغفار من الناس ثم الاستجابة من الله سبحانه حيث يحو أقدارهم ويثبت كما هو عنده في أم الكتاب<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الأدلة من السنة النبوية :-

ولقد تضافرت الأحاديث النبوية - أيضاً - في بيان وتوضيح موقف الدعاء من القضاء على حد قول أهل السنة منها: ١- أنه قيل له: يا رسول الله: "أرايت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى به ، وتقاه نقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال: هي من قدر الله"<sup>(٢)</sup>

فهذه أسباب يطلب بها البرء والشفاء ، وهذا بخلاف من رام أن يصل إلى الشفاء دون الأخذ بالدواء ، أو أسقط الدعاء والدواء ليصل إلى رفع البلاء وفي مثل هذا يقول ابن القيم: "فهل يعد أحد هذا من جملة العقلاء هل البهائم إلا أفقه منه ؟ فإن البهيمة تسعى في السبب بالمهادية العامة"<sup>(٣)</sup> كما يقول: (الأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق ببروبيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل)<sup>(٤)</sup>

وقوله: (هي من قدر الله) فيه فائدة عظيمة أشار إليها الإمام الزركشي<sup>(٥)</sup> في قوله: "إن الرقى والدواء لا تستقل برد القضاء ، لكن الله تعالى إذ أراد رد قضائه بحسب سابق علمه،

(١) انظر: القضاء والقدر في الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقي ص ٣٨٧-٣٨٨

(٢) سنن الترمذي ، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئاً رقم الحديث ٢١٤٨

(٣) الجواب الكافي: ص ٣٧

(٤) مدارج السالكين ج ٢ ص ٣٥٧، انظر أيضاً تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ٢ ص ١١٧

(٥) أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بن محمدر بن عبد الله الزركشي المصري فقيه ومحدث وله مشاركة في علوم كثيرة. وُلد في القاهرة سنة ٧٤٥هـ، وتوفي سنة ٧٩٤هـ (سيرة أعلام النبلاء ج ٦ ص ٦٠-٦١)

قدر التسبب باستعمال الرقى والأدوية ، فكان هو في الحقيقة القاضى الراد ، وقد صحت السنة بمشروعية التداوى والاسترقاء<sup>(١)</sup>

٢- عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ "من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئاً يعطى أحب إليه من أن يسأل العافيه ، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء"<sup>(٢)</sup>

٣- وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : "لاتدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم"<sup>(٣)</sup> والحديث يدل بوضوح على تأثير الدعاء في القدر المكتوب ؛ ولهذا ورد النهي والمنع من الدعاء على الأنفس والأرحام والأولاد خوفاً من أن توافق ساعة إجابة ؛ لذا قال شارح الطحاوية: "إذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع فهو مخالف للحس والفطرة"<sup>(٤)</sup>

٤- ومارواه ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لايرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ، وأن الرجل ليجرم الرزق بالذنب يصيبه"<sup>(٥)</sup> .

(١) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد لعبدالكريم تنان ومحمد الكيلاوي ٩٥٥/٢ ، وانظر أيضاً: إحياء علوم

الدين لأبي حامد الغزالي ١٧٣٨ دار الكتاب العربي

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب في دعاء النبي ﷺ رقم الحديث (٣٥٤٨)

(٣) سبق تخريجه فيما سبق

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٠ ، وانظر أيضاً: الجواب الكافي ص ٣٨

(٥) ابن ماجه ، في مقدمة باب القدر (٩٠) ، والترمذي ، القدر باب لايرد القدر إلا الدعاء (١٣٩) وحسنه

الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧)

٥- وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله (ﷺ): "لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، وأن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان" (ويتصارعان ويتدافعان) إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>

٦- وعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر"<sup>(٢)</sup> فهذان الحديثان الشريفان وما جاء على متواترها يبينان الصلة الوثيقة بين الدعاء وكل من القضاء والقدر إذ في حديث ثوبان بين الرسول (ﷺ) أن القدر لا يرده إلا الدعاء.... وفي رواية سلمان بين المصطفى أن القضاء لا يرده إلا الدعاء.... فالقضاء حكم معد للنفاد والدعاء رجاء من العبد مرفوع منه إلى مولاه للحد أو التخفيف من هذا الحكم الشامل بالنفاد؛ ولذلك يوضحان الحديثان أن الدعاء من أعظم النعم الإلهية على البشر، إذ هو وحده الذي يستطيع - فقط - أن يرد القضاء<sup>(٣)</sup>.

ولقد وفق القاضي أبوبكر العربي<sup>(٤)</sup> في تفسير أحاديث رسول الله (ﷺ) الواردة في هذا المقام والحاملة لهذه المعاني حيث أبان الصلة التي تربط الدعاء بالقضاء فقال: "الدعاء مناجاة الله تعالى - لما يريد العبد من جلب منفعة أو دفع مضرة... ومن القضاء رد البلاء بالدعاء فهو سبب لذلك واستجلاب لرحمة المولى كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر رقم الحديث (١٨٥٦)

(٢) سنن الترمذي، كتاب القدر عن رسول الله (ﷺ) رقم الحديث (٢١٣٩)

(٣) راجع في ذلك: اتحاد السادة المتقين للزيدي ٣٠/٥ والشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطه العكري ص ٢١٥

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المَعافري، الإشبيلي. ولد بإشبيلية سنة ٤٦٧ هجرية، في أسرة جمعت بين علوم الدين والمناصب الدنيوية والسياسية. فأبوه كان عالماً فقيهاً، شاعراً ماهراً، خطيباً مفوهاً توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وحمل إلى فاس حيث دفن فيها (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/١٩٧).

خروج النبات من الأرض ، والدعاء سلاح المؤمن. فإذا كان العبد مواظباً على الطاعات كثير الدعاء مملوء بالخيرات فيحتبس ذلك البلاء عند التزول ولا يجد منفذ إليه فيكون دعاؤه وعمله قد حجبا عنه البلاء ، لأن الدعاء من الله تعالى بالمكان العالي فيتصادم بالبلاء ، فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البلاء فهما متصارعان.... فإن غلب الدعاء رفع البلاء وإن غلب البلاء أزال الدعاء ونزل على العبد "وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ (١)

### ثالثاً: الدليل الفطري على فاعلية الدعاء :-

في فطرة كل إنسان وفي نفسه طريق يسير به إلى الله سبحانه ، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢) وهذا الأمر أصيل في فطرة الإنسان وطبعي في وجوده ، هذه الفطرة قد تغطيها حجب الإثم والشقاء ، لكنها لا تلبث أن تتجلى وتتحرك وتبرز للعيان ، وذلك عندما تتعرض للابتلاء وتنقطع بها الأسباب التي كان الاعتماد عليها ، حيث يتوجه الإنسان حينها إلى قدرة يعتقد أنها قادرة على غلبة وقهر الأسباب والعلل الظاهرة ، وهو في ذلك إنما يلجأ إلى الله القدير، حيث يدعوهُ واثقاً بقدرته. إن غريزة الدعاء والالتجاء إلى الله هي من الغرائز البشرية العليا التي لا بد أن يعرفها الإنسان ، فهي الهادية والمرشدة له ، وكل غريزة من هذا القبيل لا يكون وجودها عبثاً في الإنسان ، بل وجدت بناء وتلبية لحاجة

(١) يوسف: ٢١ نقلاً من كتاب الدعاء والقضاء والقدر د/محمد محمود أحمد وموسى الخطيب ص ٣٢ (وفيه فهم من هذا التفسير أن الظفر لا يكون إلا حيث يريد الله - تعالى - لأحدهما الغلبة على الآخر، فإن قبل الدعاء واستجاب عند الله فتبرزه المشيئة الإلهية في صورة المنتصر على البلاء، وإن رفض الدعاء ولم يستجب لدى الله تبرزه المشيئة في صورة المغلوب على أمره بانتصار البلاء عليه، وبناء عليه يفهم أن كل دعاء ليس مستجاب البتة)



ضرورية لديه ألا وهي توجه الإنسان إلى قدرة قادرة على غلبة وقهر الأسباب والعلل الظاهرة ، وهذه الغريزة مادامت موجودة فيه فإن لها واقعاً وحقيقة في الخارج . وخير ما يجسد ذلك قول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي الْفُلِّ وَجَرَّتْ بِكَ بِرِيحٍ طَبَّيَّةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَ تَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١)

إذن من يعترض على كون الدعاء مخالفاً للقضاء والقدر، وللحكمة الإلهية والتسليم والرضا فيكون الجواب عليه من قبل أهل السنة والجماعة بأن الدعاء هو جزء من القضاء والقدر وهو عين الحكمة الإلهية ، والتسليم والرضا بمشيئة الله سبحانه.

#### رابعاً: الأدلة العقلية :-

أن العقل السليم يدل على نفع الدعاء ؛ لأن العقل دل على وجود الله - سبحانه - وأنه فعال لما يريد ، وأنه لا معقب لحكمه . نعم العقل قاصر ولكنه يرى آثار الأدعية وإجابتها ومما يحصل بالدعوات من كشف الكربات ونيل الرغبات . وأنه لو لم يكن الدعاء نافعاً ومؤثراً ما أمر الله - تعالى - رسوله والمؤمنين به ، ولكنه أمرهم به فثبت أنه نافع ، ولهذا دعا الرسل وفي مقدمتهم المصطفى (ﷺ) وسار على نهجه صحابته (رضوان الله عليهم) والتابعون والأولياء الصالحون . وقد حكى لنا القرآن الكريم نماذج متنوعة من دعواتهم (٢)

- ومما يدل - أيضاً - على نفع الدعاء وفاعليته، أن الله - سبحانه - نفى عنه الارتباط بالمشيئة وجعل طلبه من باب العزم من جهة العبد لا من جهة الرب بخلاف غيره من الأفعال التي اوجب اقترانها بالمشيئة وعدم الاتكال على الفعل منفرد ، وذلك تحقيقاً

(١) يونس: ٢٢

(٢) راجع في ذلك المبحث الأول من البحث، وانظر أيضاً: كتاب الدعاء د/محمد السيد طنطاوي رحمه الله ص ٦٤

لقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١) أما دليل العزم في الدعاء عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ) "إذا دعوتكم الله فاعزموا في الدعاء ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطي، فإن الله لا مستكره له" (٢) وفي روايه: "لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له" (٣) ومعنى قوله: "فإنه لا مستكره له أو فإنه لا مكره له" المراد "أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء فيخفف الأمر عليه، ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما الله فهو مژه عن ذلك فليس للتعليق فائدة" (٤).

والتعليق بالمشيئة كأن فيه استغناء من العبد عن إجابة المطلوب في الوقت الذي يكون فيه السائل محتاجاً إلى طلبه ويناسب هذا الحزم والجزم، ولهذا بوب الإمام البخاري عليه بقوله: "ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له" (٥).

**خامساً: - الاستدلال بعمومية وشمولية صفة العلم والقدرة والإرادة لله تعالى:**

أن مزالق الشرك بالله إنما تكمن في النظر إلى العلل الفيزيقية والعلل الغيبية لنفاذ القدر الإلهي في الأرض واعطائها الفاعلية المستقلة، واعتبارها مصدر للخلق والفعل والإحياء والإماتة والنفع والضر وغير ذلك، حيث ينقسم الفكر البشري حيال هذا الأمر إلى قسمين: أصحاب الفكر المادى القائم على الإيمان بالغسوس ورفض الإيمان بالغيب،

(١) الكهف: ٢٣: ٢٤ انظر: تفسير الآية لدى ابن كثير في تفسير القرآن العظيم المجلد الخامس ص ١٤٥

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة رقم الحديث (٧٠٢٦)

(٣) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة رقم الحديث (٧٤٧٧).

(٤) فتح الباري ١١/١٤٠

(٥) السابق ١١/١٣٩

وأصحاب التفكير الديني في عهودهم المتأخرة، حيث الانحرافات الفكرية والاتجاهات ذات الغلو في النواحي الغيبية والروحية<sup>(١)</sup>

فالانتماءات غير مدركين أن النوعين من العلل - الغيبية والطبيعية - ليسا مؤثرين ولا فاعلين على الحقيقة، إنما هما أدوات وجنود لله - سبحانه - يفعل بهما ما يشاء في ملكه، ومن ثم فليست لهما فاعلية مستقلة، أو مشيئة أو قدرة تعمل باستقلال، وإنما هم أداة المشيئة والقدرة الإلهية غير المحدودة.

وذلك ينقلنا إلى معلومة أخرى ذات شأن عظيم ألا وهي العلاقة بين الله وخلقه، فعلى الرغم من كونه - سبحانه - بائناً عن خلقه<sup>(٢)</sup> إلا أن العلاقة قائمة ومتصلة وليست مقطوعة. وهنا نجد القرآن الكريم يقدم للإنسانية ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية بفكرها المتزمن بالقرآن والسنة وبالمنهج النبوي كمفهوم صحيح للتوحيد بأن الله - سبحانه - عليم لكل ما يحدث في الكون، بصير به، قدير عليه، وسميع لديب النملة، وهو - سبحانه - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بقدرته وسمعه وبصره وعلمه وجبروته ورحمته وفاعليته ومشيئته<sup>(٣)</sup>، وهذا الناموس<sup>(٤)</sup> الذي سنه لفاعليته في تعامله مع خلقه ليس حاكماً له في فعله وإنما هو محكوم من الله، مراد بمشيئته نافذ بقضائه. فقد يأتي فعله بالعلل الغيبية والطبيعية معاً<sup>(٥)</sup> أو بإحدهما<sup>(٦)</sup> أو بدون علة مطلقاً إذا أراد<sup>(٧)</sup>، ومن ثم فالقدر المدون قبل الخلق في أم الكتاب، والذي تسلسل فيه الأفعال بناء على سوابقها، ليس سلسلة منيعة من العلل والمعلولات التي لا يمكن الرجوع عنها، أو تغييرها، أو ضبطها، أو منعها من

(١) انظر الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د/مجي هاشم حسن ص ٩، وديانات ومذاهب أهل العالم

د/عصام الدين محمد علي "المادية الجدلية" ص ٢٨٧، 'مادية العقل المدع' ص ٢٩٩

(٢) تحقيقاً لقوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ..." (الشورى: ١١)

(٣) وهذا ماوضحته كمتعقد لأهل السنة والجماعة في الحقيقة الأولى في المبحث الثاني

(٤) حيث إيجادهم أو إفناؤهم وإحيائهم وإماتتهم ونفعهم وضرهم وغير ذلك مما يحدث في شئون الخلق

(٥) وذلك كما هو في الأمور الطبيعية التي شاهدها كل يوم .

(٦) كالمعجزات التي على أيدي الرسل

(٧) كالأشياء التي تكون بمشيئته تعالى بقوله له "كن فيكون"

الصدور<sup>(١)</sup> وإذا لم يكن ذلك هو صفة الخلق والأمر الإلهي فإنه يصل بنا إلى أمرين خطيرين الأول: اثبات استقلال للقدر يستتبع حاكمية على الفاعلية الإلهية تحد من القدرة والمشية الإلهية ، فضلاً بأن تجعل القدر شريكاً معه سبحانه وهذا محال<sup>(٢)</sup>

الثاني: يؤدي ذلك - أيضاً - إلى القول بأن الله - سبحانه - قد اعتنى بالعالم مرة واحدة فخلقه ورتب كل شيء في القدر المكتوب ، ثم جعل الأشياء والمخلوقات يصدر عن كل يستتبع الآخر ، وكل سابق يوجب إيجاد لاحقته . ومن ثم ذلك يعنى انقطاع الصلة بين الله والعالم ، وإهماله له بعد عنايته به مرة واحدة في البدء ، وذلك يؤدي حتماً إلى نسبة العجز إلى القدرة الإلهية والفاعلية ، والحد من المشية ونسبة الجهل وعدم العلم - تعالى سبحانه عن ذلك - حيث يستتبع ذلك عدم قدرته أو عدم جواز إرادته التغير لأى شيء سوف يحدث أو منع أى شيء من الحدوث ، ومن ثم يصبح صدور العالم خلقاً وفعلاً عن فاعليته - سبحانه - في المرة الأولى صدوراً ميكانيكياً وتصبح السيطرة والهيمنة في الحقيقة للعلل الغيبية والطبيعية<sup>(٣)</sup>

ومن أجل ذلك يثبت القرآن الكريم شمول العناية الإلهية لكل الموجودات الكائنة وذلك كما في قوله على لسان لقمان لابنه: ﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِنْقَالاً حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾<sup>(٤)</sup> وعمومية العلم، والقدرة المطلقة ، والإرادة والمشية النافذة<sup>(٥)</sup>

(١) القضاء والقدر في الإسلام د/فاروق أحمد الدسوقي ص ٣٨٠ — ٣٨١ باختصار وتصرف

(٢) وهذا ماوقع فيه الرواقيون (راجع: المفكرون من سقراط إلى سارتر لهنري توماس ودانالي توماس ص ٥٤ وما بعدها )

(٣) وذلك ما وقعت فيه الرواية وبعض الفلاسفة وتأثرت به المعتزلة بعض الشيء

(٤) لقمان : ١٦

(٥) راجع ذلك في الحقيقة الإيمانية الأولى في المبحث الثاني .

فالفصلة بين الله - سبحانه - وخلقهِ صلة أخذ وعطاء ، يعطى الله خلقه وجودهم وما يفيد استمراره ويأخذ منه الخلق ذلك. وتلقى وقبول وعمل ورضاء فإدارته للكون وانفاذه للقدر المكتوب، إنما يتم بأمره الكوني الخاص به وحده تحقيقاً لقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾<sup>(١)</sup> فهو وإن كان قد أمر القلم أن يكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، وأن كان القدر أمراً حتمياً لازم الوقوع باعتبار أنه صادر بمشيئته تعالى ، إلا أنه يدبر هذا الكون بأمره ومشيئته أيضاً "كل يوم"<sup>(٢)</sup> ومن ثم يبين لنا هذه الصلة الحية النابضة القائمة بينه تعالى وبين خلقه مباشرة بقوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾<sup>(٣)</sup>

إذن: فالعلاقة - كما مر - ليست علاقة عناية منذ البدء ثم انقطاع بعد تدوين المقادير، وليست الأمور تجري على العباد بفعل العلل الغيبية والطبيعية بسلسلة محكمة حاکمة للفاعلية الإلهية ، وإنما الأمور تتزل من السماء إلى الأرض بناء على سلوك العباد وأفعالهم الاختيارية<sup>(٤)</sup> ودعائهم وطلبهم من ربهم ما يريدون. لذا فالعلاقة ليست بين الخلق وبين القدر، أو بين الخلق وبين الدهر وإنما هي بين الخلق وبين ربهم ومن ثم قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾<sup>(٥)</sup> بل أنه أمر العباد بالطلب منه والدعاء فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) الأعراف: ٥٤

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرصبي المجلد الرابع ص ٢٢٥ — ٢٢٦

(٣) الرحمن: ٢٩

(٤) كما أثبتنا ذلك في الحقيقة الثالثة في المسح الثاني

(٥) البقرة: ١٨٦

(٦) غافر: ٦٠

## سادساً: قضية المحو والإثبات:-

فقد استدل أهل السنة بمسألة المحو والإثبات ، حيث كان معتقدهم إن من القضاء ما يكون محتوماً، وهو الثابت، ومنه ما يكون مصروفاً بأسبابه وهو المحو، ودليل المحو والإثبات قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ <sup>(١)</sup> وقد روى الإمام الطبري في تفسير الآية عن جمع من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يدعون الله - سبحانه - بتغيير المصير وإخراجهم من الشقاء - إن كتب عليهم - إلى السعادة فقد جاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه كان يقول وهو يطوف بالكعبة: "اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنباً فامحه واجعله سعادة ومغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب" <sup>(٢)</sup> وروى نظير هذا الكلام عن ابن مسعود وابن عباس <sup>(٣)</sup> وروى عن ابن زيد أنه قال في قوله سبحانه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ بما يترل على الأنبياء و"يثبت" ما يشاء بما يترله إلى الأنبياء وقال: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ لا يغير ولا يبدل <sup>(٤)</sup>

وقال الزمخشري <sup>(٥)</sup>: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ينسخ ما يستصوب نسه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يترله غير منسوخ <sup>(٦)</sup>

(١) الرعد: ٣٩

(٢) أخرجه اللالكائي عن عمر في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٣٤٦ ط ٣ سنة ١٣١٥ هـ

(٣) تفسير جامع البيان المجلد السابع ص ٤٣٨ ، انظر أيضاً معالم التنزيل للبعوي ج ٣ ص ٢٢

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة

(٥) هو العلامة كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب "الكشاف" الفصل "كان مولده بزمخشر - قرية من عمل خوارزم - ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة) سيرة أعلام النبلاء « الطبقة الثامنة والعشرون

ج ٢٠ ص ١٥١

(٦) الكشاف ٢/٥٢١

وقال الرازي<sup>(١)</sup> إن في هذه الآية قولين: الأول: إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا: إن الله يحو من الرزق ويزيد فيه ، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة..... هو مذهب عمر وابن مسعود.

والقول الثاني: إن هذه الآية خاصة في بعض الأشياء دون البعض ثم قال قائل: ألسنم ترعمون أن المقادير سابقة قد جف بها القلم وليس الأمر بأنف ، فكيف يستقيم مع هذا المعنى الحو والإثبات ؟ قلنا: ذلك الحو والإثبات - أيضاً - مما جف به القلم ، فإنه لا يحو إلا ما سبق في علمه وقضائه محوه<sup>(٢)</sup>

وقال القرطبي<sup>(٣)</sup> بعد نقل القولين وأن الحو والإثبات هل يعمان جميع الأشياء أو يختصان ببعضها: مثل هذا لا يدرك بالرأى والاجتهاد ، وإنما يؤخذ توقيفاً وإلا فتكون الآية عامة في جميع الأشياء ، وهو الأظهر ثم نقل دعاء عمر في حال الطواف ودعاء عبد الله بن مسعود ثم قال: روى في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: من سره أن ييسر له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه<sup>(٤)</sup>

(١) الفخر الرازي :محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري وهو أمام مفسر شافعي، عالم موسوعي ولد في الري قرشى النسب أصدة من طبرستان رحل إلى خوارزم وكان قائماً لنصرة الأشاعرة ورد على الفلاسفة والمعتزلة ولقب بشيخ الإسلام (ولد عام ٥٤٤هـ وتوفي في مدينة هراء ٦٠٦هـ — سير أعلام النبلاء للذهبي الجزء الحادى والعشرون ص ٥٠١)

(٢) مفاتيح الغيب المجلد التاسع ص ٢٦٣ — ٢٦٤

(٣) الإمام، شيخ الموصل أبو بكر، يحيى بن سعدون بن تمام، الأزدي القرطبي المقرئ النحوي ويلقب بصائ الدين ولد سنة ست وثمانين وأربعمائة، توفي بالموصل يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسائة (سير أعلام النبلاء الطبقة الثلاثون الجزء العشرون ص: ٥٤٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٣٣٢

وهذه الجمل والكلم عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان والمفسرين ، تعرب عن الرأي العام بين المسلمين - رأى أهل السنة - في إمكان تغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة ، ومنها الدعاء والسؤال ، وأنه ليس كل تقدير حتمياً لا يغير ولا يبدل ، وأن الله - سبحانه - لوحين لوح الخو والإثبات ولوح "أم الكتاب" والذي لا يتطرق التغير إليه هو الثاني دون الأول. وفي ذلك يقول ابن حجر: "ما سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل ، والذي يجوز عليه التغير والتبديل ، ما يبدو للناس من عمل العامل ، ولا يبعد ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي ، فيقع فيه الخو والإثبات ، كالزيادة في العمر والنقص ، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات<sup>(١)</sup> ويقول هنا أيضاً - الآلوسي - رحمه الله - ما ملخصه: إذا كان الخو والإثبات بالنسبة لما في أيدي الملائكة فلا فرق بين السعادة والشقاوة ، الرزق والأجل ، وبين غيرها من المقادير في أن كلا يقبل الخو والإثبات ، وإن كانا بالنسبة إلى ما في العلم ، فلا فرق - أيضاً - بين تلك الأمور وبين غيرها ، في أن كلا لا يقبل ذلك ، لأن العلم إنما تعلق بها على ما هي عليه في نفس الأمر، وإلا لكان جهلاً ، وما في نفس الأمر مما لا يتصور فيه التغير ولا التبديل ، فكأن المعنى: يحمو ما يشاء محوه، ويثبت ما يشاء إثباته مما سطر في الكتب، وثابت عنده في العلم الأزلي الذي لا يكون شيء إلا على وفق ما فيه. وقال: ويبدو أن الأمر أكبر من أن نحيط به علما، وأنه لا يسلم من أراد أن يفهم صفات الله من خلال واقع الإنسان وصفاته ، وما على الموفق إلا أن يقطع بتعلق علم الله أزلاً بالأشياء على وجه الإحاطة، وأنه لا يطرأ أى تغيير على ذلك أبداً وأن الخو والإثبات يدوران مع ما أثبت الله في اللوح ولا يخرجان عما علمه أزلاً<sup>(٢)</sup> .

(١) فتح الباري ٤٨٨/١١ ، والمنهاج شرح مسلم للنووي ٢١٣/١٦

(٢) انظر: روح المعاني المجلد الثامن ص ٥٥٥-٥٦٥ (وهذا ما ثبت حقيقته من خلال الحقيقة الأولى في المبحث الثاني)



- كما كان معتقدهم أن القول بسيادة القدر على اختيار الإنسان في محل الطاعة والمعصية قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة ومحكمات الكتاب ، ومن جنح إليه لزمه القول بلغوية إرسال الرسل ، وإنزال الكتب<sup>(١)</sup> ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> وكما أنه - سبحانه - يدها مبسوطتان لعباده<sup>(٣)</sup> كذلك العبد مختار في أفعاله لا مسير، وحر في تصرفاته لا مجبور، له أن يغير مصيره وقدره بحسن فعله وجودة عمله ، ويخرج اسمه من الأشقياء ، ويدخله في السعداء والعكس فالله - سبحانه - كما يمحو ويثبت في التكوين ، فيحيي ويميت ، كذلك يمحو مصير العبد ويغيره حسب ما يغير العبد بنفسه (فعله وعمله) لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> وليس في ذلك أى محذور ولا مخالفة للعقل ولا الكتاب والسنة ، بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوئه ، هو أيضاً - من قدره وقضائه وسننه التي لا تبدل لها ولا تغيير<sup>(٥)</sup>

### سابعاً: أنواع القضاء:-

بعد أن اثبت أهل السنة والجماعة معتقدهم في مسألة الخو والإثبات كما رأينا في النقطة السابقة ، كان لزاماً علينا أن نسير معهم استكمالاً لفكرهم في علاقة الدعاء بالقضاء ، حيث أخذوا في بيان ما يقع عليه الخو والإثبات ، ومن هنا بدأوا في عرض ما يسمى بأنواع القضاء حيث قالوا: القضاء نوعان: أحدهما: القضاء الميث أو المطلق أو المبرم وهو ما في أم الكتاب - اللوح المحفوظ - فهذا ثابت لا يتغير ولا يتبدل.

(١) كما تصح ذلك في الحديث عن أفعال العباد لدى معتقد أهل السنة في حقيقة الثالثة المبحث الثاني من البحث

(٢) ص: ٢٧

(٣) تحقيقاً لقوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ" (سورة المائدة: ٦٤)

(٤) الرعد: ١١

(٥) تحقيقاً لقوله تعالى: سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِّبَاتِ خُلُوًا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَنْ يَقُولُوا سُنَّةَ اللَّهِ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ لَبْسٌ (سورة الأحراب: ٦٢)

وثانيهما: - قضاء معلق أو مقيد: وهوما في كتب الملائكة، فهذا هو الذى يقع فيه الخو والإثبات ، فالآجال والآرزاق والأعمار وغيرها مشته في أم الكتاب لا تتغير، ولا تبدل ، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيها الخو والأرزاق والأعمار وغيرها مشته في أم الكتاب لا تتغير ، ولا تبدل ، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيها الخو والإثبات ، والزيادة والنقصان ، فالذى في علم الله - كما يقول ابن حجر- لا يتقدم ولا يتأخر، والذى في علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ<sup>١</sup> وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١) فالخو والإثبات لما في علم الملك وما في أم الكتاب هو الذى في علم الله - تعالى - فلا محو فيه البتة ، ويقال له: القضاء المبرم ويقال للأول: القضاء المعلق (٢)

كما تأكد ذلك من قبل فتاوى علماء الأزهر الشريف حين قالوا: إن العلماء قالوا إن القضاء نوع من علم الله - تعالى - بما سيكون عليه حال العبد قبل خلقه ، ومنه قضاء مبرم لا بد من وقوعه لا يدفعه ولا يرفعه شيء ومنه قضاء معلق في وقوعه أو رفعه على شيء ، فالموت مثلاً - قضاء مبرم لا بد منه ، ولا يدفعه شيء ، وطول العمر قضاء معلق على فعل مثل صلة الرحم وعمل خير آخر، ومن هذا النوع المعلق أن يعلم الله - سبحانه - أن شيئاً سيحصل للعبد عند دعائه ، وأن مرضاً سيصيبه لا يبرأ منه إلا بالدعاء والعلاج ، فكل حركات العبد والكون معلومة مكشوفة لله تعالى ، ولكنها مغيبة عنا ، ولذلك أمرنا بطاعته ، ومن الطاعة الدعاء الذى يؤكد الإنسان شدة إيمانه بضعفه وحاجته إلى الله ، فإذا حصل

(١) الرعد: ٣٩

(٢) فتح البارى في شرح البخارى ١٠/٤٣٠، وانظر أيضاً: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٨٩

الدعاء وتم ما أراد الله كانت إرادته مرتبطة بدعاء العبد كما علمها من قبل ، ومادام أمر القضاء مغيباً عنا فعلياً امتثال أمر الله في الدعاء وغيره.<sup>(١)</sup>

إذن: بعد توضيح شأن أنواع القضاء على معتقد أهل السنة والجماعة من كونه قضاء مبرماً وآخر معلقاً ، وأن المحو يكون في النوع الثاني أما الأول فلا تغيير ولا تبديل في أمره ، وهذا يزيل ما قد يبدوا من إشكال بين قضاء الله وقدره المحددان أزلاً وبين ما قد يطرأ من تغير من جراء الدعاء أو غيره من أعمال البر أو المعاصي. ومع ذلك هناك فهم آخر ذو وجهة علمية ، وهو أن الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقع يرد القضاء ولا يرد القضاء ، يعنى له جهتان: فمثلاً هذا المريض قد يدعو الله - تعالى - بالشفاء فيشفى فهنا لولا هذا الدعاء لبقى مريضاً ، لكن بالدعاء شفى ، إلا أن هذا القول يذهب إلى أن الله - سبحانه - قد قضى بأن هذا المريض يشفى منه المرض بواسطة الدعاء فهذا هو المكتوب ، فصار الدعاء يرد القدر ظاهرياً ، حيث أن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقى المريض ، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء؛ لأن الأصل أن الدعاء مكتوب ، وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء وهذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل. وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله الله - تعالى - سبباً يحصل به الشيء وقد كتب في الأزل من قبل أن يحدث<sup>(٢)</sup> وهذا الرأي ينتهى بنا بأنه لا حاجة لنا لتقسيم القضاء إلى مبرم ومعلق فالكل قضاؤه. ومكتوب في الأزل ، وهذا يجعلنا ننتقل للحديث في نقطه أخرى هامة وهي: -

١ ( لفضيلة الشيخ عطية صفرايمير ١٩٩٧م موقع وزارة الأوقاف المصرية

٢ ( انظر: كتاب فتاوى العقيدة ص ٣١٠، وشفاء العليل ص ٥٧٠

## ثامناً : أحوال أو مراتب التدوين :-

كان قول أهل السنة أن الذي وجدوه في محكم آيات القرآن الكريم هو أن الدعاء جائز، بل هو مطلوب ، كما أن التغير في القدر أو الإلغاء في بعض مقادير العباد جائز أيضاً ، وذلك لأن ما هو مدون لا يتفد ويحدث في الأرض بمجرد تدوينه وكتابته ، بل أنه لا يحدث ولا يتزل هذا الأمر من السماء إلى الأرض إلا إذا أراد الله له التزل والنفاذ ، كما رأينا - سابقاً - في سرد الحقائق الإيمانية ، وفي بيان منهجية أهل السنة في معالجة هذا الأمر وتوضيحه.

فالحقيقة أن الله - سبحانه - يتقبل دعاء العباد كما يشاء ، ويغير في أقدارهم النازلة إليهم إلى الأرض ، بناء على أفعالهم ودعائهم له مع عدم نسبة تغير القدر أو تعطيله أو نفيه ، حيث إن ما هو مدون في أم الكتاب مقضى لا محالة. ولتوضيح هذه الحقيقة يستلزم التحدث عن أحوال التدوين للقدر في السماء ، حيث إنها تتم على عدة أحوال أعم فأخص كما يلي:

## التقدير الأول وهو الأعم :-

وهو التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض ، وهو أن كل فعل جبرياً كان أو اختيارياً مكتوب ومدون تدويناً وكتابة سابقة على الحدوث في أم الكتاب<sup>(١)</sup> ودليل ذلك

(١) انظر : معالم التنزيل للبغوي - ٣ ص ٢٣ (وحكمة التدوين لغلق الباب على الأفهام الضالة التي قد يتطرق إلى أذهانها إمكانية أن ينسى أو يسهو الله - تعالى - عن ذلك علواً كبيراً - فإن ذلك التدوين لكى تتلقاه الملائكة كأوامر تقوم بتنفيذها وانماها بإذن ربها . وفي ذلك يقول الله : "قَالَمْ يَسْمَعْ أََمْرًا" (الذاريات ٤) وكذلك يقول الله : "قَالْمَدْرَات أَمْرًا" وقيل أن يظهر للملائكة كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات على سبيل التفصيل (مفاتيح العيب المجلد التاسع ص ٢٦٥)

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال الرسول (ﷺ) "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال وعرضه على الماء"<sup>(٣)</sup> وكذلك ما رواه أبو داود في سننه عن أبي حفصة الشامي قال: قال عبادة بن الصامت لابنه يابني أنك لم تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له: اكتب ، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يا بني إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "من مات على غير هذا فليس مني"<sup>(٤)</sup>

وعن عبدالله بن مسعود ؓ قال: قالت أم حبيبه زوج النبي (ﷺ) : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله (ﷺ) وبأبي ، أبي سفيان ، وبأخي ، معاوية قال: فقال النبي (ﷺ) : "قد

(١) الحديد: ٢٢

(٢) النمل: ٧٥

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى-عنيهما السلام-رقم ٢٦٥٣ (وامرأه: هو تحديد وقت الكتابة وليس أصل القدر فهو أزل)

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر رقم (٤٧٠٠) ووترمذى كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة: "ن والقلم وما يسطرون" (٣٣١٩) وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب" وصححه الشيخ ناصر في صحيح الترمذى (٢٦٤٥) وقال: إسناده حسن، وأحمد في المسند (٣١٧١٥) وأحد حديث صحيح

سألت الله لأجل مضروبة ، وأيام معدودة ، وفي لفظ: "وآثار موطوءة" وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله" (١)

وقال النووي - رحمه الله - "وهذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل ، فيستحيل زيادتها ونقصانها حقيقة عن ذلك" (٢)  
وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ولتنكح ، فإن لها ما قدر لها" (٣) وقيل هذا الحديث من أحسن أحاديث القدر عند أهل العلم (٤)

### التقدير الثاني: وهو أقل عمومية من سابقه : -

وهو خاص بالبشر: أرزاقهم وآجالهم وأفعالهم ومصائرهم في الآخرة ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ فيما يرويه علي رضي الله عنه قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأنا رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله ، ومعه محصرة فنكس ، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: "ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة" (٥)

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب بيان آن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر (٢٦٦٣).

(٢) مسلم بشرح النووي (٤٦٦/٨) ط الحديث

(٣) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً (٦٦٠١) وفي النكاح (٥١٥٢)

(٤) قول ابن عبد البر - رحمه الله - في فتح الباري (٥٨١/١١) ط الحديث

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب موعظة احدث عبد القبر وعود أصحابه حوله (١٣٦٢) ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧)

وعن عبدالله بن قتادة السلمى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله ﻻ يخلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي" قال: فقال قائل: يا رسول الله ، فعلى ماذا نعمل؟ قال: "على مواقع القدر"<sup>(١)</sup>

### التقدير الثالث: -

خاص بتقدير أفعال العباد وذلك قبل خلق آدم بأربعين سنة ، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "احتج آدم وموسى - عليهما السلام - عند ربهما ، فحج آدم موسى ، قال موسى: أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، واسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسائله وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾<sup>(٢)</sup> قال: نعم قال: أفتلو منى على أن عملت عملاً كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: "فحج آدم موسى"<sup>(٣)</sup> فهذا التدوين خاص بتجارب الابتلاءات التي يجتازها الناس في حياتهم ونتيجة اختيارهم ، وهى مدونه قبل خلق الإنسان بأربعين سنة.

(١) مسند أحمد بن حنبل ، مسند العشرة المبشرين بالجنة رقم الحديث (١٧٣١٨) ، صحيح ابن حبان ، كتاب البر والإحسان ، باب ماجاء في الطاعات وثوابها رقم الحديث (٣٤٣) ، والألبانى في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٤٨) جـ ١

(٢) طه: ٢١

(٣) أخرجه البخارى في كتاب: أحاديث الأنبياء ، باب وفاة موسى وذكره بعد رقم (٣٤٠٩) ومسلم في كتاب القدر ، باب حجاج آدم موسى رقم (٢٦٥٢) واللفظ له (وقد اشتبه هذا الحديث على كثير من الفرق ، فمنهم من رده وزعم أنه باطل؛ لأن مداره على الطعن في الأمور الدنيوية والنبوت وغير ذلك وهؤلاء هم المعتزلة وقد رد عليهم بأن الحديث صحيح وبيس أسلوب فهمه على ما ذهبوا إليه (انظر: المطالب العايم من العلم الإلهي لفخر الدين الرازى ٢١٧/٩ ، وذهب الجهمية الخيرية إلى الاستدلال به على صحة الاحتجاج بالقدر على المعصية والذنوب (انظر: لواعج الأنوار البهية: للعلامة محمد السفاريني ٣٤٦/١ ، والفهم الصحيح لاحتجاج آدم هو أن آدم احتج بالقدر على المصيبة ولم يحتج بالقدر على المعصية ويؤكد ذلك ابن القيم في شفاء العليل ص ٢٩ وإن كنت أرى أن ماورد قد يكون من قبيل الخاص هما)

## التقدير الرابع :-

خاص بتدوين أخص التقديرات للإنسان الفرد، حيث يتم وهو بعد جنين في بطن أمه ، وفيه يدون رزقه وأجله وعمله ويسجل مصيره شقياً كان أم سعيداً قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ودليل ذلك - أيضاً - قول الرسول (ﷺ) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" <sup>(٢)</sup> وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي (ﷺ) قال: "إن الله ﷻ وكل بالرحم ملكاً، يقول: يارب نطفة، يارب علقة يارب مضغة فإذا أراد أن يقضى خلقه قال: أذكر أم أنثى؟ شقى أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه" <sup>(٣)</sup>.

(١) فاطر: ١١

(٢) أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة رقم (٣٢٠٨) ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق للآدمى في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله (٢٦٤٣)

(٣) أخرجه البخارى في كتاب القدر باب (١) رقم (٦٥٩٥) وانظر: (٣١٨) ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق للآدمى في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم (٢٦٤٦).



## التقدير الخامس:-

وهو تدوين سنوى للمقادير: وذلك بنسخ مقادير العام القادم من أم الكتاب ليلة القدر وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (٢) فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (١) وقال ابن عباس ؓ "يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال: يحج فلان وفلان " وقال مقاتل: "يقدر الله تعالى في ليلة القدر أمر السنة في أرضه وفي عباده إلى السنة القابلة" (٢)

## التقدير السادس والأخير للقدر:-

التقدير اليومي، وهو تدوين ونسخ مقادير وأحوال اليوم من سجلات أحوال السنة ودليل ذلك قول الحق سبحانه: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٣) وقد روى ابن جرير بسند حسن عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله، وما ذاك الشأن؟ قال ﷺ: "أن يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين" (٤) وقد ذكر البغوى (٥) في بيان قول المفسرين بأن هذه التدوينات المتعددة المنتهية بالتقدير اليومي - كما ذكرنا - ينظر فيه

١ (الدخان: ٣-٥)

٢ راجع هذه الأقوال في شفاء العليل لابن القيم ص ٤٩

٣ الرحمن: ٢٩

٤ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/٧٩) وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/٢٧٣) وصححه الشيخ الألبان في "ظلال الجنة" (٣٠١)، وابن حبان (٦٨٩) خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه (وفي ذلك قال سبحانه: 'قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْفِي الْمُلُوكَ مِنْ قَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ قَشَاءٍ وَتُعِزُّ مَنْ قَشَاءَ وَتُذِلُّ مَنْ قَشَاءَ' يَسُودُ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: ٢٦)

٥ هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوى المنقب ظهير الدين العقيي الشافعي المحدث المفسر، كان بحرا في العلوم، صنف كتبا كثيرة منها تفسيره المعروف بمعالم التنزيل، وشرح السنة توفي سنة ٥١٠هـ (انظر: وفيات الأعيان ١٣٦/٢ - ١٣٧)

الله - سبحانه - فيمحو منه ما يريد ويثبت منه ما يشاء ، والحو والإثبات بناء على ما يرفع إليه - سبحانه - من أعمال العباد الصالحة أو معاصيهم أو أدعيتهم أو غفلتهم عن ذكره ، وهذا لا يعنى نفي حتمية القدر ، ولا يعنى نسبة التغير في المشيئة ، أو نسبة النقص إلى العلم الإلهي ؛ وذلك لأن ما حدث من تبديل أو محو أو تخفيف وتلطيف في القضاء والقدر إنما هو مسجل عند الله في أم الكتاب المسجل فيه كل مقادير السماوات السبع والأرض - كما ذكرت سابقاً - فقد سجل في أم الكتاب أن العبد سيدعو ربه ، وأن الله - سبحانه - سيستجيب له ، ويمحو من قضائه أو يلفظ ، ومن ثم يكون هذا نابعاً - أيضاً - وموافقاً لعلم الله الأزلي الذي سجله بالقلم قبل خلق السماوات والأرض في أم الكتاب الذي لا يحيط بما فيه إلا هو سبحانه<sup>(١)</sup> ، وهذا تحقيقاً للمعنى في قوله: "يمحو الله ما يشاء وعنده أم الكتاب" كما أن هذا الحو والإثبات يثبت - أيضاً - الصلة - التي ذكرتها سابقاً - بين الله سبحانه وبين خلقه.

وبناء على ما سبق: من أدلة قرآنية وسنية ، فضلاً عن العقلية بما تحمل من تفسير وتبيان قوى للعلاقة الفعالة بين الخلق وخالقهم سبحانه وتعالى ، وما ذهب إليه - أهل السنة - من توضيح لمسألة الحو والإثبات وبيان ما يقع عليه هذا الحو والإثبات ، فضلاً عن أحوال التدوين وتنوعها التي استقوها من مغزى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشارحة والمفسرة لها ، من جراء هذا يتضح معتقد أهل السنة وما رمت إليه في شأن الدعاء ومدى فاعليته مع القضاء

وهذا ما جعل ابن القيم يقول: "الدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أن يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن"<sup>(٢)</sup> وإلى هذا المعنى سبق

(١) معالم التنزيل ج ٣ ص ٢٢ - ٢٣

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٢٨ ، يراجع في ذلك مذكرات التوحيد لفضيلة الشيخ

حسين عبدالرحيم مكي ص ٣٥

الإمام الغزالي - رحمه الله - فقال: فإن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ؛ فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وقد قال تعالى: ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وليس من شروط الاعتراف بقضاء الله ألا يحمل السلاح، وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذور، فيقال إن سبق القضاء بالنبات أنبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول، الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر، والذي قدر الخير قدره بسبب، والذي قدر الشر قدره لدفعه سبباً، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته <sup>(٢)</sup>

فكما وضع "الإمام الغزالي" أنه لا تناقض إطلاقاً بين الدعاء وبين القضاء والقدر؛ لأن الدعاء ما هو إلا سبب من الأسباب المقدرة سابقاً في علم الله الأزلي أنه تقضى ببركتها أمور ، وتحقق آمال ، وتدفع كرب ، وإن مثل الدعاء كمثل الدواء ، فكما أنه لا يصح للمريض أن يترك التداوي إتكالاً على ما كتبه الله عليه سيحدث سوء تناول الدواء أو تركه ، فكذلك لا يصح للمسلم أن يهجر الدعاء اعتماداً على أن ما قدر فسوف يكون ، لأن العاقل هو الذي يتعاطى الأسباب بعزم ثم بعد ذلك يترك النتائج لله الواحد القهار.

وهذا ما دعا العلامة محمد رشيد رضا إلى عدم الوقوف - فقط - عند حدود نفع الدعاء بل توسع في الأمر إلى بيان أنواع للدعاء، مما يدل على قناعه تامة بنفعية الدعاء ، حيث نراه قد ذهب إلى تقسيم الدعاء إلى نوعين:-

(١) النساء: ١٠٢

(٢) أحياء علوم الدين ج ١ - ص ٣٣٦، انظر أيضاً تحاف السادة المتقين للزبيدي ٣٩/٥

القسم الأول اضطرارى وهو الالتجاء إلى القوة الغيبية عند تقطع الأسباب بالإنسان وسد منافذ الرجاء بالسعى ، وهذا الفرع من الدعاء - كما يقول - هو ميزان الإيمان ومعيار التوحيد الخالص ، وأن هذا الدعاء أثر من آثار الإيمان بقوة وراء الطبيعة وهذا الأثر هو روح العبادة ، وأكبر مظاهرها.

أما القسم الثانى من الدعاء فهو الاختيارى ، وهو من الأعمال التى تزيد في الإيمان ، وتقدمه وتدعمه كسائر العبادات المطلوبة ، ولولا ذلك لما كان للتكليف به معنى ، وهذا النوع هو أحد خصال الإيمان ، وهذا هو الدعاء المطلوب شرعاً. وانتهى به الأمر إلى القول: بأن استجابته هذا الدعاء ليست من الخوارق الحقيقية ، ولكنها من التوفيق الإلهى والعناية الربانية<sup>(١)</sup>

وهذا ما حمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إني لا أحمل هم الإجابة ، ولكن أحمل هم الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه<sup>(٢)</sup> فعمر بن الخطاب هنا يوضح لنا بأن الإشكال ليس في الاستجابة ، وإنما في أن يلهمه الله - تعالى - ويوفقه إلى الاهتمام لتفعيل هذا السبب - الدعاء - فإذا وفق فإن الإجابة - بإذن الله - مضمونة<sup>(٣)</sup>

وإنمّا للفائدة: فنختم معتقد أهل السنة والجماعة بالقول: "إن الدعاء له أركان وأجنحة وأسباب وأوقات ، فإن صادف أركانه قوى ، ومن أركانه الاضطراب ، وإن صادف أجنحته

(١) مجلة المنار، المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل النوع الحادى عشر: استجابة الدعاء ٤٠٦/٦

(٢) رواه أبونعيم في الخلية ٤١/٤ عن وهب بن منبه .

(٣) وتكون بإحدى الطرق الثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن تدخره في الآخرة، وإما أن تدفع عنه من سوء مثلها وذلك تحقيقاً لقول الرسول ﷺ "ممن رجل يدعوا لله إلا استجاب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدخره في الآخرة وأما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل "سنن الترمذى ٣٦٧٧" (انظر: تنبيه العافلين للسمرقندى ص ٢٧٣)

طارفي السماء ، وأجنحته قوة الصديق مع المولى سبحانه فيما يجرّوه ويؤمله منه ، وإن صادف أسبابه نجاح ، وأسبابه الصلاة على النبي (ﷺ) وإن صادف أوقاته فاز وأوقاته السحر" (١)

## المطلب الثاني : المخالفون لأهل السنة والرد عليهم

### أولاً : المعتزلة ومعظم الفلاسفة : -

ذهب المعتزلة وكثير من الفلاسفة (٢) إلى أنه لا ينفع مع القدر شيء لا دعاء ولا توكل ، سوى أنها عبادات محضة لا تأثير لها. فالاشتغال بالدعاء هو باب من أبواب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعي ، من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما ، ولا فرق لديهم

(١) المدخل لابن الحاج جـ ٣ ص ١٣٠ "مواطن اجابة الدعاء" (انظر تفصيل الأمر في أسباب الدعاء وأركانه وشروطه وأوقاته من كتاب الدعاء مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة د/محمد محمود أحمد، د/موسى الخطيب، وانظر أيضاً فضائل الذكر والدعاء لابن القيم ص ١١٦ وما بعدها).

(٢) وقد يظن البعض أن ابن سينا قد خالف المنهج العام للفلاسفة عندما اعترض على من قال : أن الدعاء عبث إذ قد قدر الله كل شيء فقال "لا لأن الباري هو الذي جعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء، كما جعل سبب صحة هذا المريض شرب الدواء .... ويصير دعاؤنا سبباً للإجابة .... وإذا لم يستجب الدعاء لذلك الرجل، فالسبب فيه أن الغاية النافعة إنما تكون بحسب نظام الكل لا بحسب مراد ذلك الرجل. والنفوس الزكية عند الدعاء قد تفيض عليها من الأول قوة تصيرها مؤثرة في العناصر فتطويعها العناصر متصرفة على إرادتها فيكون ذلك إجابة للدعاء" (التعليقات لابن سينا ص ٤٧ — ٤٨) ولكن المتأمل في عباراته هذه يلاحظ بأنه يساير قول الفلاسفة، ولم يخرج عن منهجهم قيد أنملة، حيث نجد في نهاية العبارة قد أدرج الأمر برمته إلى المنفعة الكلية في الكون، وإلى وجود خاصية في النفس الزكية هي التي أثرت في العناصر وذلك هو بعينه منهج الفلاسفة القائمين بكسبية المعجزات والنبوة وبالمنفعة الحتمية.

بين الدعاء والإمساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في حصول المطلوب ، وارتباط الدعاء عندهم كارتباط السكوت ولا فرق<sup>(١)</sup>

- وكان اشتباههم في عدم فهم القدر فهماً صحيحاً يتضح بقولهم: "لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ، لأن الداعي بين الخوف والرجاء ، والشك في وقوع ذلك شك في خبر الله"<sup>(٢)</sup>

من الواضح أن معتقد المعتزلة والفلاسفة مبناه على فكرهم ومعتقدهم في نظريتهم القائمة على السببية في الأشياء الطبيعية ، وقولهم بتأثير الأسباب بعضها في بعض ، والذهاب إلى ما هو أبعد وأخطر من ذلك وهي كونها تعمل مستقلة عن الله وغير خاضعة لإرادته ، ولا يستطيع - سبحانه - تغييرها<sup>(٣)</sup> ، ومن هنا كان تورطهم في القول بأن الإنسان خالق فعل نفسه وخاصة الجور والمعاصي والشرور وما شابه<sup>(٤)</sup> . وتعللهم ذلك بأن خلاف هذا يؤدي إلى الطعن في جانب التكليف المتمثل بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ونسبة العبث المنافي لتمام الحكمة والعدل لله تعالى . فكان من الطبيعي - بناء على معتقدهم هذا - إنكارهم لتأثير الدعاء في القدر باعتباره أنه أمر يعطل نظرية الأخذ بالأسباب ، ويعطل التوكل ، فضلاً أنه - على حد معتقدهم - فعل إنساني لا علاقة لله - سبحانه - به وغير خاضع لإرادته.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٧١٩ (وذلك بناء على إحدى أصولهم الخمسة "الوعد والوعيد" وما تمسكوا به من قوله تعالى "ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد" ق: ٢٩) (شرح الأصول الخمسة ص ١٣٦) وتحقيقاً لأصل العدل لديهم (المرجع السابق ص ٣٠١ وما بعدها)

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) راجع في ذلك الحقيقة الثانية في المبحث الثاني قول المعتزلة والردعلي

(٤) راجع في ذلك الحقيقة الثالثة في المبحث الثاني قول المعتزلة والردعلي

وغنى عن البيان الرد عليهم في هذا الأمر، فمن وقف على حقيقة الأسباب وربطها بمسبباتها. وعلم أنه لا عمل لها ولا تأثير بذاتها بل بما أودع الله - تعالى - فيها من القوى الموجبة، وبعد مشيئته، ووقف - أيضاً - على حقيقة مشكلة أفعال العباد واستطاع أن يفرق بين قدر الله الذى هو فعله وبين مقدوره الذى هو مفعوله، لاستطاع أن يهتدى بسهولة إلى أن الدعاء ما هو إلا سبب من الأسباب قدرها الله سابقاً في علمه الأزلى للعباد لتكون عوناً لهم في حياتهم الدنيوية، وأنه على الرغم من كونه فعل العبد إلا أنه بتوفيق وإلهام من الله - تعالى - كما رأينا من خلال معالجتنا لنقاط البحث السابقة<sup>(١)</sup>

### ثانياً الجبرية :-

وهم الذين تركوا الدعاء جملة، وبنوا تركهم على أن سبق القدر بالسعادة والشقاوة لا يتبدل ولا يتحول عمل أولم يعمل، كذلك المدعو إن سبق العلم والحكم بحصوله حصل، دعونا أو لم ندع، وإن سبقا بعدم حصوله لم يحصل وإن دعونا. وذلك بناء على معتقدهم الخاطيء في الفعل الإنساني بأنه بلا قدرة أو استطاعة أو إرادة، وإنما يخلق الله - تعالى - الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات. ولاشك أن هؤلاء بنوا ما بنوه على فهم فاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين، ومخالف لصريح العقل والحس والمشاهدة<sup>(٢)</sup>

(١) راجع المطلب الأول من البحث الثالث: عقيدة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء  
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العزالحنفي ص ٢٢١، وشفاء العليل ص ١٠٩، ١١٠ (ويكفي في الرد عليهم سرد أدلة المعتزلة على مذهبهم، حيث تنقض أدلتهم لأهم بنوا مذهبهم على إثبات الفعل والمشية للعبد، واتوا بالعديد من الآيات القرآنية التي تثبت ذلك (راجع الكهف: ٢٩، والفرقان: ٢٧، المدثر: ٣٦-٣٧، الشمس: ٧-١٠، البلد: ١٠-١١....) راجع في ذلك: البحث الثاني من البحث معتقد الجبرية في أفعال العباد.

## ثالثاً: غلاة الصوفية :-

عندما سوغ لغلاة الصوفية التشدق بمذهب الجبر، ونسبة القبيح إلى الله - تعالى - واستحسانه لذلك، والجهر بعذر الخلائق طائعهم وفاجرهم ؛ لأنهم مظاهر لأفعال الله <sup>(١)</sup> كان هذا مؤداه إلى القول بعدم فائدة الدعاء إلا في إظهار الفاقة بين يديه <sup>(٢)</sup> ، كما طلب من احدهم أن يدعوا فقال: أخشى أن دعوت يقال لي: إن سألنا مالك عندنا فقد أقمنا ، وإن سألنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا ، وإن رضيت أجرنا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور. <sup>(٣)</sup>

كما كان قولهم: "لا يكن تأخر أمر العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد ، واعلم أن من أسمائه - تعالى - القيوم ، وهو مبالغة في القيام ، فقد قام تعالى بأمر خلقه من عرشه إلى فرشه ، وعين لكل مظهر وقتاً محدوداً وأجلاً معلوماً ، ولكل واحد شكلاً معلوماً ورزقاً مقسوماً ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فإذا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة فارجع إلى وعد الله واقنع بعلم الله ولا تحرص ، ففي الحرص تعب ومذلة.... وإن كان ولا بد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لائلاً للحظ ، فإن تركت الحظوظ صبت عليك الحظوظ " <sup>(٤)</sup> كما ذكر الإمام القشيري <sup>(٥)</sup> كلاماً

(١) وهو ما لا يعبر عن الاتجاه العام في فكر أولئك أئمة المذهب بل هو قاصر على المغالين منهم .

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص ٢٦٩

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة

(٤) ايقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة ص ٢٣

(٥) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب " الرسالة " ولد سنة ٣٧٥ هـ توفي يوم الأحد سنة ٤٦٥ هـ (سير أعلام النبلاء

- الطبقة الرابعة والعشرون ج ١٨ ص ٢٢٧)



واضحاً في الرد على هذا السؤال: "أيهما أولى الدعاء أم الاستسلام للقضاء حيث قال: الأولى أن يقال الأوقات مختلفة. ففي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب ، وفي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب ، وإنما يعرف ذلك بالوقت فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت أتم وإلا فالدعاء وتركه هاهنا سيان.. ثم قال: ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله - سبحانه وتعالى - فيه حق فالدعاء أولى ، لكونه عبادة وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم" (١)

وقالوا بهذا ؛ لأن الخير المتعدى أولى من الخير القاصر على واحد. واستدلوا بحديث النبي (ﷺ) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "عجباً لأمر المؤمن لا يقضى الله له شيئاً إلا كان خيراً له" (٢)

- كما أن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضى المطلوب أو لا ، فثم قسم ثالث وهو أن تقتضية بشرط لا تقتضيه مع عدمه ، وقد يكون الدعاء من شرطه ، كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجه مع عدمه. فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب وسائر الأسباب (٣) ، ويجب أن يفهم هنا أن الذي حرك العبد إلى دعائه هو الله ، فهذا الخير منه وقامه عليه (٤)

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٦٥ ، والفتوحات الربانية على الأذكار النووية ٢٣٥/٧ لابن حجر العسقلاني

(٢) رواه أحمد في مسنده ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، باقى مسند المكثرين من الصحابة رقم الحديث (١٩٣٦) حديث مرفوع ، وصححه الشيخ ناصر - رحمه الله - في الأحاديث الصحيحة (١٤٨).

(٣) انظر: الدعاء والدواء لابن القيم ص ٢٧

(٤) العقيدة الطحاوية ص ٧٠

وخير ما يختتم به في الرد على غلاة الصوفية :-

قول النبي (ﷺ) : "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان"<sup>(١)</sup> فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله ونهاه عن العجز الذى هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شىء ألا ييأس على ما فاتته بل ينظر إلى القدر، ويسلم الأمر لله ؛ فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة ، وأمر لا حيلة فيه فما فيه حيلة لا يعجز عنه ، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه<sup>(٢)</sup>

وفي نهاية الأمر فلنذكرهم بأن القائل: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"<sup>(٣)</sup> هو الذى قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"<sup>(٤)</sup> فما حالكم : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أشدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب القدر) - ٤٦ - باب (٨) في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٠٥٢/٤)

(٢) مجموع فتاوى ٢٨٤/٨ - ٢٨٥

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام رقم الحديث ٤٨٠٣ رقم الصفحة (٢٦٥٣)

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمى في بطن أمه رقم الحديث (٤٧٩٥)

(٥) البقرة: ٨٥ (انظر المزيد من الردود على غلاة الصوفية في الدرة البهية شرح القصيدة الثابتة في حل المشكلة القدريّة ص ٥١-٥٣، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابون ص ٢٨٥-٢٨٦، ومنهاج السنة ٢٠٣/٣ - ٢٠٩ والاستقامة ٧٣/٢ - ٧٦، ومدارج السالكين ٢٦٨/١ - ٢٦٩)

#### رابعاً: الشيعة:-

ذهبت الشيعة إلى أن هناك العديد من الآيات بها تصريحات بأن الإنسان هو الذى يستطيع أن يغير مصيره بصالح أعماله وطالحها ، وأن التقدير الأول نجم عن سبب في حياة العبد ليس تقديراً قطعياً لا يغير، بل هو تقدير معلق سيتغير إذا تغير سببه وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ عَافَاءً﴾ <sup>(٢)</sup> يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا <sup>(٣)</sup> وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ وَيَحْبِلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا <sup>(٤)</sup> فهذه الآيات - تبعاً لمعتقد الشيعة - تعرب عن أن الأعمال الصالحة مؤثرة في مصير الإنسان، وأنه يقدر بعمله الصالح على تغيير التقدير وتبديل القضاء غير المبرم، لأنه ليس في أفعال الإنسان الاختيارية مقدر محتوم حتى يكون العبد في مقابله مكتوف الأيد <sup>(٥)</sup>

- كما كان معتقدهم إن أئمة أهل البيت - عليهم السلام - قد أوردوا أن الصدقة والاستغفار والدعاء وما شابه ذلك يغير التقدير. وما هذا إلا لأن التقدير لم يكن تقديراً قطعياً، بل تقديراً معلقاً على عدم الإتيان بصالح الأعمال أو بطالحها ، فإذا وجد المعلق عليه يتبدل التقدير بتقدير آخر، كل ذلك بعلم ومشئته منه سبحانه ، وذلك على اعتبار أن تقدير العباد على قسمين - كما ذهب أهل السنة - تقدير قطعى لا يقبل المحو والتغيير

(١) الأعراف: ٩٦

(٢) نوح: ١٠: ١٢

(٣) انظر: الدعاء حقيقته آدابه آثاره للأستاذ على موسى الكعبي ص ٧: ٨

وذلك كالسنن القطعية التي لا تبدل ولا تتحول<sup>(١)</sup>، وتقدير معلق غير قطعي مشروط بشروط أو أسباب<sup>(٢)</sup>.

إذن: كان معتقدهم أن الدعاء يرد القضاء ويصرف البلاء المقدر<sup>(٣)</sup> بناء على كونه من أجزاء القضاء والقدر ومن أجزاء الحكمة الإلهية. وكان من ضمن الروايات العديدة التي أوردوها في هذا المقام استدلالاً على تمكن الإنسان من تغيير مصيره منها: - أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: لا ينفع الحذر عن القدر ولكن الله يحو بالدعاء ما يشاء من القدر<sup>(٤)</sup>.

وروى الكليني بسنده عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: "إن الدعاء يرد القضاء ينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبراهيم"<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام أبو الحسن موسى الكاظم<sup>(٦)</sup>: "عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضى ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعى الله - عز وجل - وسئل صرف البلاء صرفه"<sup>(٧)</sup>.

(١) كقوله تعالى: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" (الزمر: ٣٠)

(٢) راجع في ذلك: الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف للعلامة الشيخ جعفر السبحاني المجلد الثالث القضاء والقدر

(٣) وذلك تبعاً لمعتقدهم في أفعال العباد كما في المبحث الثاني

(٤) الدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ٦٦١

(٥) الكافي ج ٢ ص ١٦٩ باب إن الدعاء يرد القضاء الحديث (١)

(٦) موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨ هـ - ١٨٣ هـ) أحد أعلام المسلمين، والإمام السابع عند الشيعة الإثنا عشرية، والده هو الإمام جعفر بن محمد الصادق أحد فقهاء الإسلام، قضى جزءاً من حياته في السجن، وعاصر فترة حساسة من تاريخ المسلمين. كنيته أبو إبراهيم وأبو الحسن، ومن ألقابه: الكاظم والعبد الصالح وباب الخواص وسيد بغداد. (سير أعلام النبلاء الطبعة الخامسة ج ٦ ص ٢٧١)

(٧) الكافي ج ٢ ص ٦٩/٤٧ ص ٤٦٨/٤٧ ص ٦/٤٧٠ باب إن الدعاء يرد البلاء (٨)

وقال الإمام زين العابدين<sup>(١)</sup>: "الدعاء يدفع البلاء النازل ومالم يترل"<sup>(٢)</sup> وعنه<sup>(٣)</sup>:  
"إن الحذر لا ينجي من القدر، ولكن ينجي من القدر الدعاء"<sup>(٣)</sup>

وقال الإمام الصادق<sup>(٤)</sup>: "ادع ولا تقل إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله ﷻ منزله  
لا تنال إلا بمسألة"<sup>(٥)</sup> وأحاديث هذا الباب كثيرة - على حد زعمهم - جميعها تؤكد  
معتقدهم في فاعلية الدعاء مع القضاء<sup>(٦)</sup>

وبناء على معتقدهم السابق كان جواهم عن هذا السؤال إن تغيير مصير الإنسان  
بالدعاء وغيره من أعمال البر يقتضى التغيير فيما قدره الله تعالى في علمه الأزلى وذلك يعنى  
تغيير علمه الأزلى، وهو محال فكيف هذا؟ فقالوا إن الله عالم بمصير الأشياء كلها غابرها  
وحاضرها ومستقبلها، استدلالا بقوله تعالى: "اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ"<sup>(٧)</sup>  
وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم "لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه  
بالأشياء بعدما خلق الأشياء"<sup>(٨)</sup> وإن لعلمه - تعالى - مظاهر عبر عنها في الكتاب الكريم،

(١) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب  
بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس  
بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولد في المدينة ٣٨هـ، اشتهر بزين العابدين وهو الإمام الرابع لدى  
الشيعة بكل طوائفهم وله عدة ألقاب منها ذو الثفتان وزين الصالحين ومنار القانتين، توفي في ٢٥ محرم  
سنة ٩٥ للهجرة ودفن في البقيع إلى جانب قبر عمه الحسن بن علي عليهما السلام. (سيرة أعلام النبلاء:  
الطبقة الثانية الجزء الرابع، ص ٣٨٧).

(٢) الكافي ٧/٤٦٩/٢

(٣) البحار: ٩٣/٣٠٠/٣٧. كترالعمال: ٣١٢٣

(٤) هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وُلد في المدينة المنورة سنة ٨٠ هـ، وتوفي  
سنة ١٤٨ هـ (سيرة أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٥٦)

(٥) الكافي: ٧/٤٦٦/٣ وص ٧/٤٦٧.

(٦) راجع في ذلك: بحار الأنوار للمجلسي ج ٤ ص ١٣٠ دار الكتب الإسلامية، عدة الداعي ونجاح الساعي  
ص ١٣-١٤

(٧) آل عمران: ٥

(٨) الكافي: ٤/٨٣

منها أم الكتاب، وهذا المظهر يعبر عن علمه الأزلي المحيط بكل شيء والذي هو عين ذاته ، لا يتطرق إليه التغير قال تعالى: ﴿وَلَئِنَّ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ <sup>(١)</sup> والمظهر الآخر من علمه - تعالى - هو المعبر عنه بلوح الخو والإنبات ، والله تعالى فيه المشيئة يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء حسب ما تقتضيه حال العباد من حسن الأفعال أو قبحها ، وفي هذا اللوح يكتب التقدير الأول ، ولكنه يعلق بتحقيق شرطه أو زوال مانعه. وهذا التغير لا يمس كامل علم الله - تعالى - والظهور بعد الخفاء هو بالنسبة لنا لا إلى علمه - تعالى - وذلك كالنسخ في التشريع <sup>(٢)</sup>.

وفي الحقيقة - قد يتوهم البعض الخداعا - أنهم في تفسيرهم للعلم الإلهي قد يكونون على الصواب ، وأنهم قد وافقوا فيه جمهور علماء المسلمين ، ولكن - في حقيقة - ما ذهبوا إليه من استدعائهم للأيات والأحاديث التي بما دلالة واضحة على تغيير القضاء المعلق وآثار الدعاء وغيره إنما هو لإثبات عقيدتهم الباطلة وهو القول بالبداء <sup>(٣)</sup> على الله سبحانه

#### ١) الزخرف ٤:

٢) الدعاء حقيقته وآدابه وآثاره لموسى الكعبي ص ١١٠ باختصار، انظر أيضا الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف للشيخ جعفر السبحاني المجلد الثالث القضاء والقدر (وفي الحقيقة أن هذا هو قول علماء الإمامية (الآثني عشرية) الذين يقولون بالبداء ويرون أنه لا يناقض أزلية علم الله وإنما هو بمنزلة النسخ في التشريع). (انظر: عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ص ٥١، وأوائل المقالات ص ٥١ للشيخ مفيد آل كاشف الغطاء أصل الشيعة وأصولها ص ١٤٨—١٤٩) وفي العموم فإن الإمامية قد أخذوا القول بالبداء عن الغلاة حيث أكد ذلك كامل مصطفى الشبي "أن البداء عند معتدلي الشيعة من عقائد الغلاة الأولى وأخذها الشيعة المعتدلون وهذبوا حواشيها وقووها بالمنطق والكلام" الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٠٤، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية. ودائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ ص ٤٣٨ جولد زيهرمقالة عن البداء (إصدار أحمد الشنتناوى إبراهيم زكى خورشيد، عبدالحميد يونس

٣) جاء في لسان العرب بدأ الشيء أى ظهر والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم وذلك على الله غير جائز (ابن منظور ص ٢٣٤ مادة بدا) وورد في التعريفات أن "البداء ظهور الرأي بعد أن لم يكن، والبدائية هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى (السيد الشريف الجرجاني ص ٣٦) والشهرستاني يذكر أن البداء على الله له معان: البداء في العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم. ويعقب على ذلك بقوله: ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد والبداء في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك (الملل والنحل ج ١ ص ١٤٨—١٤٩)

وهو قول غلاتهم<sup>(١)</sup> وهذا ما أكدده صاحب بحار الأنوار حين قال: "إن أئمة أهل البيت بالغوا في البداء رداً على اليهود الذين قالوا: "إن الله لما خلق الأشياء وقدر المقادير، تم الأمر وخرج زمام التصرف الجديد من يده بما حتمه من القضاء، فلا نسخ ولا استجابة بالدعاء؛ لأن الأمر مفروغ منه"<sup>(٢)</sup> فغلاة الشيعة قد قالوا صراحة بالبداء الذي يغاير إرادة الله والذي يستتبع جهل الله - سبحانه - بالأشياء قبل وقوعها وهذا هو ما وقع عند اليهود<sup>(٣)</sup>

وانطلاقاً من هذا كان الدعاء وغيره من الأعمال الإنسانية لا إشكال فيه - لديهم - في أن يغير القضاء والقدر، مادامت إرادة الله - سبحانه - قابلة للتغيير، وقد أجازوا الجهل بالأشياء قبل وقوعها في حق الله تعالى؛ لذا آثرت ذكرهم ضمن المخالفين لأهل السنة جنوحهم بتلك العقيدة - في حد زعمهم - الضالة، والاستناد عليها في فاعلية أمر الدعاء مع القضاء، فعلى الرغم من صحة النتائج التي توصلوا إليها إلا أن المقدمات باطلة، مما يؤكد استغلالهم لهذا الأمر لتحقيق مآربهم الخاصة في خدمة عقائدهم التي خالفوا بها إجماع المسلمين وأخرجتهم من الفهم الصحيح للدين .

(١) وأول من قال بالبداء المختار بن أبي عبيد (الملل والنحل ج ١ ص ٤٨ - ٤٩) والبدائية من غلاة الشيعة يذهبون مذهب هشام بن الحكم في القول بأن علم الله لا يتعلق إلا بالموجود، وأنه لا يعلم شيئاً حتى يكون، وهذا القول يستتبع الجهل بالأشياء قبل وقوعها والأخذ بهذا الرأي يفسح المجال للقول بأن علم الله يتأثر بحدوث أشياء جديدة وأنه تعالى يغير إرادته (دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ ص ٤٣٨ - ٤٣٩)

(٢) المجلسي ج ٤ ص ١٣٠

(٣) حيث ورد في سفر التكوين "ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثرت في الأرض، وأن كل تصورات أفكار قلبه إنما هوس رير كل يوم فعزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب: أئحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء حزنت أنى عملتهم" (الاصحاح السادس ٧ - ٨) ولا شك أن تأسف الرب وحزنه على ما فعل الإنسان يعكس أنه - تعالى - ما كان يعلم بما سيحدثه الإنسان؛ ولذلك فقد قرر الندم على هذا الخلق وأراد أن يححوه وهو قول بالبداء الصريح - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وهذا النص وغيره قد اتضح الاقتباس والتأثر من قبل غلاة الشيعة

(راجع: الشيعة والسنة لإحسان إلهي ص ٥٥)

## وختاماً : القول الفصل في علاقة الدعاء بالقضاء

بعد الطواف السابق في طيات موضوع موقف الدعاء من القضاء ، ومروراً بمحطات عديدة كانت غاية في الأهمية ، بداية بتعريف الدعاء وسرد بعض الأدلة النصية - قرآنا وسنة - في كونه حقيقة ملموسة بل طلباً صريحاً من الحق - سبحانه - في الاستعانة به تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> والتحقق - كما رأينا - من كونه الوسيلة الروحية الفعالة لزمرة الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - والصالحين والأولياء والأتقياء ، وهذا ما وقفنا عليه حين الاستعانة بالنصوص ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد في ازدواجية ربانية عقيدة القضاء والقدر الركن السادس في الإسلام المبني على الرضا واليقين بما عند الله تعالى ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢) تحقيقاً لقول خير الأنام (ﷺ): "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا أستعنت فأستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"<sup>(٢)</sup>

وعلمنا جيداً - من خلال وقفات عديدة في البحث - أن من ضلت أفهامه عن استيعاب تلك الأدلة بطرفيها ظن خطأ وجود إشكالية عظيمة بين أمر الدعاء والقضاء ، وهذا ما حدث بالفعل من قبل بعض الفرق الإسلامية، حيث أرتأينا إشكالية عظيمة في فهم مدلولات الآيات القرآنية - خاصة - وتبعها أحاديث النبي (ﷺ) مما تولد عنه قضايا خلافية

(١) سورة: غافر: ٦٠

(٢) أخرجه الترمذی في كتاب صفة القيامة باب ٥٩ رقم "٢٥١٦" وقال حسن صحيح



كبرى اسهمت - ليس بالقليل - فيما كان بين تلك الفرق من تناقض واختلاف في معالجتهم للقضايا ، وهذا ما أجبنا إلى عرض تلك الحقائق أو القضايا باختصار غير محل. وذلك كحقيقة علم الله - سبحانه - وإرادته وقدرته الذى وقع فيها الخلاف على أشده مما أدى ببعض الفرق الخروج عن جادة الحق حين نسبوا إلى الله - سبحانه - عدم تعلق علمه ببعض الأمور الحادثة ، بل أدى بهم الأمر إلى القول بوجود أفعال خارجة عن إرادة الله وقدرته ، وذلك كما فعل بعض المعتزلة حينما تناولوا معالجة - على حد زعمهم - نظرية السببية وأفعال العباد.. كما ظهر لنا على الساحة - أيضا - ما عرف بجبر غلاة الصوفية الذى أفضى بنا إلى جعل الإنسان كالريشة في مهب الريح تحركها كيفما شاءت ، وساوت بين الطائع والعاصى وغير ذلك مما يترتب عليه من إسقاط أمر التكليف وإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وهذا بطبيعة الحال ما يسمى إنكار معلوم من الدين بالضرورة ، حيث تضافرت الأدلة بأنواعها المتعددة على ثبوت تلك الحقائق الدينية واليقينية.

مما أوصلنا - أيضاً - إلى فريق آخر - كفلاة الشيعة - الذين استغلوا الأمر خدمة لإثبات عقيدتهم الباطلة المنحولة ألا وهى عقيدة البداء ، فرأيناهم وإن كانوا قد تجاوزوا مع أهل الحق فيما وصلوا إليه في أمر الدعاء والقضاء إلا أن ذلك لم يكن عن قناعة بالأمر بل مداهنة ، خدمة لآرائهم الخارجة عن الإسلام. والحق الذى لا يشوبه شك أن علم الله - تعالى - علماً أزلياً مبنى على الإحاطة والانكشاف ، وهذا لا يعنى الجبر، فعلم الله لا يخفى عليه شيء صغيراً كان أو كبيراً في الأرض أو في السماء ، وكتابة ذلك لا يوجب استغناء عما به يكون من الأسباب التى لا يتم إلا بها ، إذ هذا العلم ليس موجباً بنفسه لوجود المعلوم بل هو مطابق له على ما هو عليه ، وقد سبق في علمه هذا ما يعمل به العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم.

- كما تحقق الأمر في شأن الإرادة بأنها إرادة نافذة ومخصصة للأشياء بنوعيتها الكونية منها والشرعية. وأنه لا بد من التفريق بين نوعيها لكي يصبح الأمر واضحاً جلياً ويزال بعض الإشكاليات الظاهرية. وهذا لا يستلزم تعدد الإرادة ، ولكنها قد تكون كونية لكائن وابتلائية تشريعية لآخر.

- وبنفس المنهجية كان الانطلاق إلى صفة القدرة باعتبارها مكون من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر. وإثبات قدرة مطلقة لله سبحانه ، ومعالجة قضية السببية بما يتناسب مع دلالات الآيات القرآنية ، وبما يوافق الفطرة السليمة والعقل والملاحظة ، وهو أنه اقتضى عدله - سبحانه - وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء على الأسباب ، فكلماً أخذ الفرد بالسبب الذي يوجهنا الله إليه وربط ذلك بمشيئته - سبحانه - كلما وصل إلى مبتغاه ، وما الدعاء إلا سبباً من الأسباب التي سخرها الله - سبحانه - لعباده وأمرهم بالأخذ بما ، وكونها سنة الله في كونه التي لا تقبل التبديل أو التحويل.

فكما سخر الله للإنسان الأسباب المادية من المأكل والمشرب وغيرها لتستقيم حياته جعل الدعاء وما على شاكلته من الأسباب الروحية التي بها قوام نفسه وقلبه ، وهذه الأسباب المادية منها والروحية لا تعمل بنفسها بل بتوجيه وتوفيق من الله سبحانه لعباده أن يلهمهم الأخذ بها والاهتداء إليها ، وهذا هو الفارق بين المشرك الذي يأخذ بالأسباب فتعطيه نتائجها وبين المسلم الذي يأخذ بالأسباب ، ولكن لا يعلق قلبه بها بل بمسبب الأسباب تبارك وتعالى ، وهذه هي حقيقة التوكل المشار إليها في طيات البحث ، وهي التي تجسدت في عمل النبي (ﷺ) يوم الهجرة حيث أخذ بكل أسباب الحيلة والحذر للتوجه إلى المدينة بعيداً عن نظر المشركين، ولكن حينما انقطعت به الأسباب تدخلت - حينئذ - عناية مسبب الأسباب وهي معية الحفظ والنصر والتأييد والمدد تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِلَّا

نُصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ  
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْخُزْ عَلَى اللَّهِ مَعَنَا.. ﴿التوبة: ٤٠﴾

فيكون شأن الدعاء ما هو إلا قضاء سابق في علمه الأزلي. وهذا يحلر الاشكال  
الظاهري البادى في النصوص ، حيث يدفع القضاء بالقضاء والقدر بالقدر وهذا ما انتهى  
إليه أهل الحق والصواب من أعانهم الله - تعالى - للفهم الصحيح للمنهجية القرآنية  
والسنية ، ومن كانت منطلقاته القرآن والسنة وخاصة عند معالجة القضايا الكبرى  
والشائكة مثل هذا الموضوع.

### أهم نتائج وتوصيات البحث

#### أولاً: أهم النتائج:-

١- أيقنت من خلال ما ورد من معالجات في البحث أن الحل الحاسم لمسألة القضاء والقدر  
والجبر والاختيار والدعاء وما على شاكلته متضمن في القرآن الكريم والسنة النبوية  
الصحيحة، فنقبل عليهما بعقل خالص ونستلهم منهما الإجابة على الأسئلة التي ما فتئت  
تحرير الكثيرين، فإذا بالأمور واضحة والقضايا بينة ، والمسائل تصبح اجابات مقنعة للعقل  
ومرضية للنفس، ومطمئنة للقلب. وذلك باعتبارهما الحق في ذاته وبذلك تكون النتائج  
التي نتوصل إليها بمثابة الميزان الذي توزن به نتائج الفرق وآرائها، لأن التضارب قائم في  
فكر الفرق - كما رأينا - وليس في الأدلة النصية.

٢- لقد عنى القرآن الكريم بموضوع الدعاء وأكثر من طلبه في كثير من آياته ، وكذلك  
السنة النبوية الصحيحة ، وهو أمر لا يستطع أن يشك فيه أحد وهى في جملتها أدلة ثبوت  
وصحة لعظم شأن الدعاء هذا من جانب ، ومن جانب آخر أفاض في أدلة ثبوت القضاء  
والقدر، بل اكدت السنة على كونه الركن السادس في الإسلام ، وما هذا إلا دلالة صحة  
وثبوت - أيضاً - في حقه.

٣- تبين بأن القضاء والقدر عقيدة تتعلق بالعلم والإرادة والقدرة فكل ما كان وما يكون وما سيكون ، إنما هو بخلق الله - تعالى - وبعلمه الأزلى الذى لا يتغير ولا يتبدل ، وبإرادته التى لا يغلبها مغالب ، وبقدرته المطلقة إذ هو القاهر فوق عباده ، فجميع الخلائق مقهورون بقدرته ، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ (١)

٤- تبين - أيضاً - بعد التدقيق ومحاولة فهم واستيعاب للنصوص القرآنية أن هناك إرادتين إحداهما كونية والأخرى شرعية ابتلائية ، وهذا لا يعنى تعدد الإرادة وإنما هى واحدة كصفة لله سبحانه. فالأمر الإلهى واحد ولكنه يكون كونه الكائن وابتلائاً لآخر، وهذا يزيل بالطبع ما قد يشكل على البعض من عدم رد القضاء وكونه مبرماً على الإطلاق.

٥- بعد توضيح إخفاق كثير من الفرق في فهم حقيقة ربط الأسباب بالمسببات انتهت بنا المعالجة بأنه قد اقتضى عدله - سبحانه - وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء على الأسباب ، وأنه كلما أخذ الفرد بالسبب الذى وجهنا الله إليه وربط ذلك بمشيئته - سبحانه - وأيقن بأنه المؤثر الحقيقى وصل إلى الحق والصواب .

٦- للإنسان مشيئة يختار بها وقدرة يفعل بها ، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله ، واقعتان بها ، وعلى العبد أن يسعى في تحصيل مصالحه الدنيوية ، يأخذ بالأسباب المشروعة فإذا حصل على مراده حمد الله على توفيقه لذلك ، وإن أتت الأمور على خلاف مراده تعزى بقدره وراجع نفسه فيما أخفق فيه من الأسباب وطلب العون من الله، وما الدعاء إلا وسيلة من وسائل طلب العون.

٧- وجد على الساحة الإسلامية من يستهين بشأن الدعاء ويرى أنه لا داعى له ولا جدوى من ورائه ، أو كونه عبادة محضة أو أمانة على الطاعة فقط ، وكل ذلك مردود ومناف للإيمان بالقدر، وتعطيل للأسباب وترك لعبادة هى أكرم العبادات على الله

فإن الدعاء أمره عظيم وشأنه جليل به يرد القضاء ، وبه يرفع البلاء ، فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وهو من الفرائض البشرية العليا التي لا بد أن يلجأ إليها الإنسان ، وأن وجودها ليس عبثاً ، بل وجدت تلبية لحاجة ضرورية وهي توجه الإنسان إلى قدرة قادرة على غلبة وقهر الأسباب والعلل الظاهرة لذا نجد الله - سبحانه - جعل طلبه من باب العزم بخلاف غيره من الأفعال التي اوجب اقترانها بالمشيئة وعدم الاتكال على الفعل منفرد.

٨- القدر المدون قبل الخلق في أم الكتاب ، ليس سلسلة منيعة من العلل والمعلولات التي لا يمكن الرجوع عنها أو تغييرها أو منعها من الصدور ، وأن الأمر لو كان على خلاف ذلك لوقعنا في أمرين خطيرين إحداهما: اثبات استقلال القدر وكونه شريكاً مع الله ، وثانيهما: أن ندعى بأن الله قد أعتنى بالعالم مرة واحدة عند الخلق ثم ترك الأمر للأشياء والمخلوقات وكلاهما محالان على الله تعالى.

٩- أن العلاقة بين الله - سبحانه - وبين عباده ليست علاقة عناية منذ البدء ثم انقطاع بعد تدوين المقادير ، وليست الأمور تجري على العباد بفعل العلل الغيبة والطبيعية بسلسلة محكمة حاکمة للفاعلية الإلهية ، وإنما الأمور تنزل من السماء إلى الأرض بناء على سلوك العباد وأفعالهم الاختيارية ودعائهم. لذا فالعلاقة ليست بين الخلق وبين القدر ، أو بين الخلق وبين الدهر وإنما هي بين الخلق وبين ربهم.

١٠- تعدد التدوينات المنتهية بالتقدير اليومي الذي ينظر فيه الله فيمحو منه ما يريد ويثبت منه ما يشاء ، بناء على ما يرفع إليه - سبحانه - من أعمال العباد وأدعيتهم ، وهذا لا ينفى حتمية القدر ، ولا يعنى نسبة التغير في المشيئة أو نسبة النقص إلى العلم الإلهي ، وذلك لأن ما حدث من تبديل أو محو أو تخفيف وتلطيف في القضاء إنما هو مسجل عند الله في أم الكتاب.

١١- الدعاء وإن كان سبباً من الأسباب التي نستعين بها لتحقيق أمانينا في الحياة الدنيا ، إلا أن ذلك قد يكون ظاهرياً - فقط - لأنه في الحقيقة هو قدر سابق أعده الله - سبحانه -

- في علمه الأزلى ، فيكون القضاء قد دفع بالقضاء والقدر بقدر مماثل ومن هنا انتفى أى إشكال أو تضارب موهوم ظاهرياً بين النصوص ، ونكون قد وضعنا أيدينا على حقيقة علاقة الدعاء بالقضاء.

### ثانياً: التوصيات :-

١- أوصى نفسى وأوصى كل باحث يبحث في مسألة ما ، وخاصة الموضوعات الشائكة أن يبدأ بحثه من القرآن الكريم والسنة النبوية بالمنهج العقلى الصحيح ، لأنه عندما يصل إلى نتائج صحيحة ومؤكدة ، فإنه يكون قد ملك بيديه النور الساطع الذى يستطيع أن يكشف به الحق من الباطل ، والغث من السمين في آراء ومذاهب وفكر البشر، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، فيصبح بنور القرآن وهدى العقل مهيمنا ومستبصراً لما في الجاهليات من أباطيل ، وكفى بالله عاصماً من الضلال.

٢- كما أوصى نفسى وأوصى جميع المسلمين أن يستعينوا بكل الوسائل الروحية المتاحة لهم من قبل الحق سبحانه كالدعاء ليحققوا أمانهم في الحياة الدنيا، وينالوا رضا الله - سبحانه - في الحياة الآخرة ، وأن يكونوا على قناعة كاملة بأهميتها وأحققتها في التنفيذ كالوسائل المادية ؛ لما فيها من تهذيب النفوس ، وترقيق القلوب ، وتعلقها بخالقها ، وإيمانها الكامل بأنه لا نجاة ولا خلاص ولا نفع ولا ضرر إلا من قبل الحق سبحانه.

هذه هى أهم النتائج وبعض التوصيات فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسى والشیطان والله ورسوله بريثان منه ، اللهم أنى أسالك أن تجعل هذا البحث خالصاً لوجهك الكريم ، وأن تنفعنى به والمسلمين في الدارين ، وأن تجزى من سدد وصوب فيه وأعاننى على إعدادده خير الجزاء إنك على كل شىء قدير. آمين.

((د/هويدا فؤاد الطويل))

## أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب السنة

١- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني

سنن أبي داود، نشر دار الكتب العربي. بيروت

٢- أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)

المسند، تحقيق أحمد شاكر دار المعارف مصر ١٣٧٧هـ والمطبعة الميمنية ١٣١٣هـ-

٣- البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري)

صحيح البخاري، دار المعرفة

٤- الترمذي (أبو عيسى الترمذي)

سننه ط الحلبي

٥- مسلم (الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١هـ)

صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي

ثالثاً: - أهم المصادر والمراجع

١- أحمد أمين: ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٦م

٢- أحمد بن فهد الحلبي ت ٨٤١هـ - "الشيخ"

- عدة الداعي ولجاح الساعى تحقيق أحمد الموجدى القمى، مكتبة الوجدانى بقم

٣- ابن بطه العكبرى (أبى عبدالله عبيد الله بن بطه العكبرى) :

شرح الإبانة على أصول السنة والديانة، تحقيق د/ رضا نعيان معطى، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - دمشق

٤- ابن تيمية (تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحرانى)

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم ج ٣ ط ٦ . ١٤١٤هـ - ١٩٨٦م.

- الاستقامة، تحقيق محمد رشاد سالم ج ٢ ط ٢ نشر وتوزيع مؤسسة قرطبة.

- الاحتجاج بالقدر، نشر قصى محب الدين الخطيب الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - المطبعة السلفية بالقاهرة .

- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/عبدالرحمن بن محمد بن قاسم طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين، مكتبة المعارف الرباط المغرب، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

- الدرة البهية شرح القصيدة الثائية في حل المشكلة القدرية، الشيخ عبدالرحمن بن سعدى ، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٦هـ

٥- ابن حجر العسقلانى (ابن الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى)

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط الريان القاهرة، طبعة دار المعرفة بيروت



٦- ابن حزم (الإمام/محمد على بن أحمد بن حزم)

- الفصل في الملل والنحل، ط أولى ١٣٢٠هـ

٧- ابن الحاج (أبي عبدالله محمد بن محمد العبدري الفارسي المالكي الشهير بابن الحاج ت ٧٣٧هـ)

- المدخل إلى تنمية الأعمال، نشر دار التراث القاهرة

٨- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين بن خلكان)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباد، دار صادر بيروت

٩- ابن سينا (شرف الملك أبو علي الحسين بن عبدالله الحسين بن علي)

- الاشارات والتنبيهات، تحقيق د/سليمان دنياط دار المعارف ١٩٦٠م

١٠- ابن السعدي (عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي) "الشيخ"

- الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، مؤسسة قرطبة صححه واعتنى به وعلق عليه أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم

- التنبيهات اللطيفة على ما أحتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنفية تعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز، تخريج الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي دار ابن القيم الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

١١- ابن عجيبة الحسني:

- ايقاظ المهمم شرح متن الحكم، المكتبة الثقافية بيروت لبنان بدون تاريخ للطبعة

١٢- ابن العربي (أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي)

- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق على محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

١٣- ابن العربي (محي الدين محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي ت ٦٣٨هـ)

- الفتوحات المكية تحقيق وتقديم د/عثمان يحيى ومراجعة د/إبراهيم مذكور، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- تفسير القرآن الكريم ط دار اليقظة بيروت ١٣٧٨هـ

١٤- ابن فارس (أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)

- معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، طبعة دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١١هـ

١٥- ابن قتيبة

- تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية بيروت

١٦- ابن قدامة

- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، خرج أحاديثها وعلق عليها بدر بن عبدالله البدر، الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

١٧- ابن القيم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله بن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ)

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحرير الحسائي حسن عبدالله مكتبة دار التراث القاهرة
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة صححه وعلق عليه أ/محمود حسن ربيع ط ٣ لسنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ضبطه وعلق عليه د/السيد الحميلي - دار ابن زيدون بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، حققه محمد حامد الفقى ط بيروت لبنان دار الكتاب العربي ١٩٧٣ م
- إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق وتعليق عصام الدين الصبايطى دارالحديث القاهرة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م المجلد الأول وبه جزئين الأول والثانى
- الروح، ط دار الكتب العلمية
- الداء والدواء مكتبة الصفا ط أولى ٢٠٠٢ م
- فضائل الذكر والدعاء غيت بنشره والتعليق عليه مكتبة التراث الإسلامى
- ١٨- ابن كثير (الحافظ ابن كثير ٧٠٠ - ٧٧٤ هـ)
- تفسير القرآن العظيم تحقيق د/محمد إبراهيم البناء، محمد أحمد عاشور، عبدالعزيز غنيم طبعة الشعب
- ١٩- ابن منظور (محمد بن عبدالكريم بن منظور)
- لسان العرب، دار الفكر، وطبعة دار صادر بيروت

٢٠- أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي " الشيخ "

- الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية، تحقيق عبدالله سلوم السامرائي

٢١- أبو نعيم (الحافظ أبي نعيم الاصبهاني ت ٤٣٠هـ)

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان

٢٢- أبو هلال العسكري

- الفروق في اللغة، حققه وعلق علي حواشيه ووضع فهرسه جمال عبد الغني مؤسسة الرسالة، الطبعة - الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

٢٣- احسان إلهي ظهير

- الشيعة والسنة، مطبعة التقدم توزيع دار الأنصار القاهرة ١٩٧٩م

٢٤- الاسفراييني (أبو المظفر الاسفراييني)

- التبصير في الدين، تعليق الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثري، نشر مكتبة الخانجي ١٩٥٥م

٢٥- الأشعري (أبو الحسن الأشعري ت ٣٣٠هـ)

- الابانة عن أصول الديانة، تحقيق د/فوقية حسين محمود دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢ - ١٤١٠هـ

- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدم له هموده غرابه مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن، المكتبة الأزهرية للتراث.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد نشر مكتبة النهضة - المصرية القاهرة

٢٦- الألباني (محمد ناصر الدين الألباني) "الشيخ"

- سلسلة الأحاديث الصحيحة ط ٤ المكتب الإسلامي

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ط ٥ لسنة ١٩٨٥ المكتب الإسلامي

٢٧- الألوسي (أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ٥١٢٧٠هـ)

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، حقق أصوله ووثق نصوصه طه عبد الرؤف سعد - طبعة أولى دار الغد العربي

٢٨- الإيجي (عبد الله والدين القاضي عبدالرحمن بن أحمد الإيجي)

- المواقف في علم الكلام ط دار عالم الكتب

٢٩- الباقلاني (القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني)

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، وطبعة الخانجي ١٤١٣هـ -

- التمهيد في الرد على الملاحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة تحقيق/محمود محمد الخضيرى - ود/محمد عبد الهادي أبو ريده، ط دار الفكر العربي ١٩٤٧م

٣٠- البخارى "الإمام"

- خلق أفعال العباد أو الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، مؤسسة الرسالة بيروت ط ١ لسنة ١٤٠٤هـ

٣١- البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى) "الإمام"

- الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق /محمد محى الدين عبد الحميد نشر محمد على - صبيح القاهرة

٣٢- البغوى (الأمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى ت ٥١٦هـ) "الإمام"

- تفسير معالم التزويل إعداد خالد عبدالرحمن العك، مروان سوار دار المعرفة بيروت لبنان.

٣٣- البيجورى

- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ط الحلبي ١٣٨٥هـ / ١٩٣٩م

٣٤- الفتازانى (مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين الفتازانى) "الإمام"

- شرح المقاصد، تحقيق وتعليق د/عبدالرحمن عميرة، تصدير فضيلة الشيخ صالح موسى - شرف، عالم الكتب. بيروت طبعة أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م (ج-٢، ج-٤)

٣٥- جعفر السبحانى "الشيخ"

- الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، الشبكة العالمية للشريعة

٣٦- د/جميل صليبا

- المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني. بيروت

٣٧- الجرجاني(على بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد ميرشريف)

- التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

- شرح المواقف، تحقيق د/محمد المهدي، ط مكتبة الأزهر

٣٨- الجزائري (أبو بكر جابر الجزائري)

- عقيدة المؤمن، الناشر مكتبة العلوم والحكم، توزيع مكتبة الصفا الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، مطابع دار - البيان الحديثة ٢٠٠٢م

٣٩- جولد زيهير

- دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ مقالة عن البداء إصدار أحمد الشنتاوي

٤٠- الجوهرى (أبونصر اسماعيل بن حماد)

- الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦م

٤١- الجويني (عبد الملك بن يوسف بن محمد بن عبدالله بن حيوية الجويني النيسابوري ت ٥٤٧٨هـ) "الإمام"

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أسعد تميم مؤسسة الكتب الثقافية طبعة أولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، الناشر المكتبة الأزهرية - للتراث ط ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

- ٤٢- الخطابي (أبو سليمان حمد بن الخطاب المعروف بالخطابي ت ٣٨٨هـ)
- شأن الدعاء، المحقق أحمد يوسف الدقاق، الناشر دار الثقافة العربية الطبعة الأولى ١٩٨٤م والطبعة الثالثة ١٩٩٢م
- معالم السنن (شرح سنن أبي داود) نشر المطبعة العلمية حلب
- ٤٣- الخولي (حامد علي الخولي) "دكتور"
- قضية الألوهية عند المتكلمين، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ١٩٩٠م
- ٤٤- الخياط (أبو الحسين عبدالرحيم محمد بن عثمان الخياط المعتزلي)
- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد تحقيق وتعليقات د/ نيرج مكتبة الكليات الأزهرية، دار الندوة - الإسلامية طبعة ١٩٨٧م - ١٩٨٨م بيروت لبنان
- ٤٥- الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي "٦٧٣-٧٤٨") "الإمام"
- سراًعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ -
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبعة الخانجي الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ القاهرة وطبعة بيروت
- ٤٦- الرازي (أبو الفضل محمد فخرالدين الرازي ت ٦٠٦هـ) "الإمام"
- مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير الناشر دار الغد العربي طبعة أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.



٤٧- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ)

- المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني دار المعرفة بيروت لبنان  
طبعة أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٤٨- زكي نجيب محمود، د/أحمد أمين "دكتور"

- قصة الفلسفة الحديثة

٤٩- الزركلي (خير الدين الزركلي)

- الأعلام، دار العلم للملايين بيروت

٥٠- الزمخشري (جاء الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٢٨هـ)

- الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل وهو تفسير القرآن الكريم  
شرح وضبط ومراجعة يوسف الحمادي الناشر مكتبة مصر.

٥١- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت ٧٧١هـ)

- طبقات الشافعية الكبرى، ط البابي الحلبي

٥٢- السفاريني (محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي)

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، المكتب الاصلاحى الطبعة الثالثة  
١٤١١هـ، والطبعة الثانية المكتب الإسلامى بيروت ١٤٠٥هـ

٥٣- السنوسى (محمد بن يوسف السنوسى)

- شرح العقيدة الوسطى

٥٤- السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي)

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر للطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، وطبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٥٥- الشعراوي (محمد متولى الشعراوي) " الشيخ "

- القضاء والقدر دار الندوة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، وطبعة دار الشروق تقديم أحمد فراج الطبعة الأولى ١٩٧٥م

٥٦- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني)

- نهاية الإقدام في علم الكلام، صححه الفريد جيوم مكتبة الأزهر

- والملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلاني القاهرة ١٩٦١م

٥٧- الطبري (محمد بن جرير الطبري "٣١٠")

- جامع البيان في تأويل آي القرآن، المجلد الثاني ج٢ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م منشورات محمد علي بيضون، وطبعة دار الغد العربي

٥٨- الطحاوي (أبو جعفر المصري الطحاوي)

- شرح العقيدة الطحاوية، شرحها الإمام القاضي علي بن أبي العزاحنفي الدمشقي وبحاشيتها تعليقات العلامة محمد ناصرالدين الألباني، تحقيق عبدالرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

٥٩- عبد الجبار (القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني ت ٥١٤١٥هـ -)

- المغنى في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق د/محمد مصطفى حلمي، د/أبوالوفا الغنيمى ج٤مراجعة د/ابراهيم مذكورإشراف د/طه حسين المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة مطبعة مخيمر

- الخيط بالتكليف، تحقيق عمر السيد عزمى، مراجعة د/أحمد فؤاد الأهواني ، الدار المصرية للطباعة المجلد الأول بدون تاريخ طبعة

- شرح الأصول الخمسة، تحقيق د/عبدالكريم عثمان، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ط مكتبة وهبه ط أولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

٦٠- عبدالحليم قنيس، وخالد العك

- مسألة القضاء والقدر، دارالكتاب العربي، حلب دمشق

٦١- عبد الرحمن بدوى

- مذاهب الإسلاميين، دارالعلم للملايين ط ١٩٩٦م

٦٢- عبد الرحمن الوكيل "الشيخ "

- هذه هي الصوفية، دارالكتب العلمية. بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٤م

٦٣- عبدالعزيز سيف النصر "دكتور"

- نظرية السببية في الفكر الكلامى الإسلامى الطبعة الأولى ١٩٨٤م مطبعة الجبلاوى

٦٤- عبدالكريم تنان، ومحمد الكيلانى

- عون المريد لشرح جوهرة التوحيد، دار البشائر.

٦٥- عصام الدين محمد علي

- ديانات ومذاهب أهل العالم، منشأة المعارف الأسكندرية ١٩٩٢م مركز الدلتا للطباعة

٦٦- علي سامي النشار "دكتور"

- مناهج البحث عند مفكرى الإسلام واكتشاف المنهج العلمى في العالم الإسلامى الطبعة الرابعة ١٩٧٨م دار المعارف

٦٧- علي موسى الكعبي "الأستاذ"

- الدعاء حقيقته وآدابه وآثاره، سلسلة المعارف الإسلامية، الناشر مركز الرسالة الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، مطبعة مهر- تم إيران

٦٨- علي القارى (الملا علي القارى الحنفي ت ١٠١٤هـ-)

- شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، حقق وخرج أحاديثه وعلق عليه علي محمد دندل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

٦٩- الغزالي (أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري) "الإمام"

- إحياء علوم الدين وبذيله المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للإمام زين الدين أبي الفضل العراقي، ضبط وتوثق أحمد عناية وأحمد زهوة. ط المكتبة - التجارية الكبرى ١٩٦٤ القاهرة

- الأقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه عبدالله محمد الخليلي، منشورات محمد علي - ببيضون دار الكتب العلمية بيروت. لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

— تمأفت الفلاسفة، قدم له وعلق حواشيه د/صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية صيدا  
بيروت ط ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م وطبعة دار المعارف

— الأربعين في أصول الدين، طبعة دارالجيل بيروت

٧٠- فاروق أحمد الدسوقي "دكتور"

— القضاء والقدر في الإسلام الكتاب الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية  
١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م (ثلاثة أجزاء) دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع.

٧١- فريد الأنصاري

— ابتديات البحث في العلوم الشرعية "محاولة التأسيس المنهجي" دار السلام الطبعة الثانية  
١٤٣٠هـ — ٢٠١٠م ٧٢- الفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)

— القاموس المحيط مؤسسة الرسالة ط ٢ لسنة ١٤٠٧هـ —

٧٣- القرطبي ( أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي)

— الجامع لأحكام القرآن، دارأحياء التراث العربي بيروت لبنان

٧٤- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم القشيري)

— الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد معروف زريق وعلى عبد الحميد  
بلطجي، ط ٢ دار الجيل. بيروت

٧٥ - كمال محمد عيسى "دكتور"

— نظرات في معتقد ابن عربي، دارالاجتمع للنشر والتوزيع، جدة ط ٢ لسنة ١٤٠٦هـ —

٧٦- الكليفي (الشيخ محمد بن يعقوب الكليفي)

- أصول الكافي، ط دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٨هـ

٧٧- اللالكائي (أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ت ٤١٨هـ)

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، تحقيق د/أحمد سعد حمدان دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط ١ لسنة ١٤٠٩هـ

٧٨- اللقاني (إبراهيم بن حسن اللقاني ت ١٠٤١هـ) "الإمام"

- أرجوزة جوهرة التوحيد مع شرحها تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تقديم لجنة العقيدة بجامعة الأزهر، القسم الأول والثاني ٢٠٠٦م

٧٩- محمد أمين الكردي الإربلي ت ١٣٣٢هـ-

- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م

٨٠- محمد جابر عبد العال الحيني "دكتور"

- حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق أبان العصر العباسي الأول الناشر دار المعرفة طبعة ١٩٦٧

٨١- محمدرشيد رضا "الإمام"

- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار الفكر للطباعة والنشر ج ٢، وج ١١ الطبعة الثانية

— مجلة المنار، المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل النوع الحادى عشر: استجابة الدعاء.

٨٢— محمد رضا المظفر "الشيخ"

— عقائد الإمامية، طبعة المطبعة العالمية القاهرة ١٩٧٣م

٨٣— محمد صديق (محمد صديق حسن خان القنوجى البخارى ت ١٣٠٨هـ—)

— الدين الخالص إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية طبعة أولى ١٤٢٨هـ — —  
٢٠٠٧م

٨٤— محمد عبدالله الشرقاوى "دكتور"

— بحوث في مقارنة الأديان، دار الفكر العربى ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م

٨٥— محمد عبد الهادى أبوريده "دكتور"

— تاريخ الفلسفة في الإسلام، لجنة التأليف والترجمة ط ٤ لسنة ١٩٥٧م

٨٦— محمد الحسن آل كاشف الغطاء

— أصل الشيعة وأصولها، نشرالدارالإسلامية للطباعة المنصورة ط ١٩٨٢م

٨٧— محمد السيد طنطاوى "دكتور"

— كتاب الدعاء، ط مجمع البحوث الإسلامية

٨٨— محمد محمود أحمد، ود/موسى الخطيب "دكتور"

- آيات الدعاء في القرآن الكريم (الدعاء والقضاء والقدر) أربع أجزاء مركز الكتاب للنشر ط أولى ١٩٩٩م مطابع آمون

٨٩- محمد الأمين الشنقيطي "الشيخ"

- دفع ايها المضطرب عن آيات الكتاب، مطابع الرياض ط سنة ١٣٧٥هـ

٩٠- محمد الأنور حامد عيسى "دكتور"

- نظرات في العقيدة الإسلامية ط ٣ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٩١- المجلسي (محمد باقر المجلسي)

- بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تم اعداده من قبل المجمع العالمي لأهل البيت ، دار الكتب الإسلامية جـ ٤

٩٢- المسعودي

- مروج الذهب، ط التحرير القاهرة

٩٣- المفيد (محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الملقب بالمفيد) "الشيخ"

- أوائل المقالات في المذاهب المختارات، تعليق الزنجاني ط ٣ لسنة ١٣٩٣م الطبعة الحيدرية النجف

٩٤- ناصر القفاري (ناصر بن عبد الله بن علي القفاري) "دكتور"

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثني عشرية عرض ونقد، ٣ مجلدات بدون بيانات للنشر.

٩٥- النسفي (أبو المعين النسفي الماتريدي)



- تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريق الإمام أبي منصور الماتريدي تحقيق كلود سلامة  
ط قبرص دار الجفان للطباعة

٩٦- النيسابوري (أبو عبد الله الحاكم)

- المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية. لبنان ط  
١٤١١هـ

٩٧- النووي (أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي) "الإمام"

- شرح صحيح مسلم، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٢هـ، وط دار الفكر

٩٨- هنري توماس، ودانالي توماس

- المفكرون من سقراط إلى سارتر، عثمان نويه، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية  
١٩٧٠

٩٩- يحيى هاشم حسن فرغلي "دكتور"

- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ط دار المعارف

- الفرق الإسلامية في الميزان، دار الآفاق العربية ٢٠٠٧م

١٠٠- موقع شبكة الشيعة العالمية



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥٨٣	مقدمة
٥٨٨	المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث وأدلة ثبوتها
٥٨٨	المطلب الأول: - تعريف الدعاء وأدلة ثبوته
٥٨٨	أولاً: الدعاء في اللغة
٥٩٠	ثانياً: الدعاء في الاصطلاح
٥٩١	ثالثاً: أدلة ثبوت الدعاء
٥٩١	أ/ أدلة قرآنية
٥٩١	- الآيات الدالة على الدعاء
٥٩٤	- الرسل (صلوات الله عليهم) ونماذج من أدعيتهم في القرآن
٥٩٧	- الصالحون ونماذج من أدعيتهم في القرآن
٥٩٨	ب/ الأدلة من السنة
٥٩٨	- الأدلة القدسية
٥٩٩	- الأدلة النبوية
٦٠٠	جـ/ من أهم الآثار الدالة على الدعاء وإجابته
٦٠١	د/ دلالة الفطرة
٦٠٢	المطلب الثاني: تعريف القضاء وأدلة ثبوته

الصفحة	الموضوع
٦٠٢	أولاً: تعريف القضاء والقدر لغة
٦٠٦	ثانياً: تعريف القضاء والقدر في الاصطلاح
٦٠٧	ثالثاً: الفرق بين القضاء والقدر
٦٠٩	رابعاً: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر
٦٠٩	أ/ الأدلة من القرآن الكريم
٦٠٩	ب/ الأدلة من السنة
٦١١	جـ/ الإجماع
٦١١	د/ دلالة الفطرة
٦١٢	هـ/ دلالة العقل
٦١٣	المبحث الثاني: بعض الحقائق والمعطيات الإيمانية
٦١٣	تمهيد
٦١٤	المطلب الأول: كون القضاء عقيدة مرتبطة بالعلم والإرادة والقدرة
٦١٤	أولاً: إثبات صفة العلم
٦١٥	ثانياً: صفة الإرادة
٦١٦	ـ الإرادة الكونية
٦١٨	ـ الإرادة الدينية الشرعية
٦٢١	ثالثاً: صفة القدرة

الصفحة	الموضوع
٦٢٢	المطلب الثاني: قاعدة الأخذ بالأسباب وربطها بمسبباتها
٦٢٣	أولاً: تعريف الأسباب
٦٢٣	ثانياً: تعدد الآراء والأقوال في ارتباط الأسباب بالمسببات
٦٣٤	المطلب الثالث: أفعال العباد ومشكلة التخيير والتيسير
٦٣٥	أولاً: منهج أهل الحديث
٦٣٥	ثانياً: موقف أبوحنيفة من القدر والحرية الإنسانية
٦٣٦	ثالثاً: رأى بعض الفرق الكلامية المخالفين لما سبق
٦٣٦	أ/ الجبرية
٦٣٩	ب/ المعتزلة القدرية
٦٤٣	جـ/ الأشاعرة
٦٤٦	- الجبر لدى غلاة الفكر الصوفية
٦٤٨	- الشيعة وأفعال العباد
٦٥٢	المبحث الثالث: علاقة الدعاء بالقضاء
٦٥٢	المطلب الأول: معتقد أهل السنة والجماعة
٦٥٣	أولاً: الأدلة من القرآن الكريم
٦٥٧	ثانياً: الأدلة من السنة النبوية
٦٦٠	ثالثاً: الدليل الفطري على فاعلية الدعاء

الصفحة	الموضوع
٦٦١	رابعاً: الأدلة العقلية
٦٦٢	- عمومية وشمولية صفة العلم والقدرة والإرادة لله تعالى
٦٦٦	- قضية المحو والإثبات
٦٦٩	- أنواع القضاء
٦٧٢	- أحوال ومراتب التدوين
٦٨١	المطلب الثاني: المخالفون لأهل السنة والرد عليهم
٦٨١	أولاً: المعتزلة ومعظم الفلاسفة
٦٨٣	ثانياً: الجبرية
٦٨٤	ثالثاً: غلاة الصوفية
٦٨٧	رابعاً: الشيعة
٦٩٢	وختاماً القول الفصل في علاقة الدعاء بالقضاء
٦٩٥	أهم نتائج وتوصيات البحث
٦٩٩	أهم المصادر والمراجع
٧١٨	فهرس الموضوعات